أمة الإسلام بين آلام وآمال !!

التوحيد

مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٦٨ - السنة التاسعة والثلاثون - ذو الحجة ١٤٢١ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

وقفات مع عشر ذي الحجة

من أعمال البر يوم النحر

فضائل يوم عرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة التاسعة والثلاثون

العدد ٤٦٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر

المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

موقع المركز العام:

WWW.ANSARALSONNA.COM

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١ - في الداخل ٢٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢ - في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

م. دار الجمهورية للصحافة

"السلام عليكم"

الإخوة الأعزاء قراء مجلة التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإننا ومنذ ما يقرب من عام، ونحن في حيرة مع ارتفاع أسعار الورق ومستلزمات الطباعة، وشهر تلو الآخر ننتظر بلا جدوى تراجع الأسعار؛ رغبةً منا في عدم رفع سعر المجلة، ولكن الأمر أصبح محتومًا، والفرار منه محال، فقد تكبّدت مجلتكم في الشهور الماضية خسائر كبيرة؛ نتيجة ارتفاع الأسعار، وقد حاولنا جاهدين عدم تحميلكم عبء أي زيادة، ولكن شاء الله سبحانه أن نرفع السعر آسفين مضطرين.

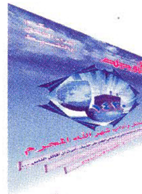
لذلك نستميحكم عذرًا في رفع سعر المجلة إلى جنيهين؛ ابتداءً من شهر المحرم ١٤٣٢هـ، راجين أن تلتمسوا لنا العذر، طالبين منكم الدعم والمؤازرة والمشاركة في نشر التوحيد.

جعلنا الله وإياكم من الموحدين، ووفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير







مجلة التوحيد لا يستغني عنها مسلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني

أحمد إبراهيم صوابي



البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

التوزيع والاشتراكات:

SEE2070@HOTMAIL.COM

موقع المجلة على الإنترنت:

WWW.ALTAWHED.COM

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي:

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية

في هذا العدد







افتتاحية العدد

فضائل يوم عرفة



الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستهديه، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله الداعي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وبعد:

فيوم عرفة يوم عظيم من أيام الإسلام؛ ففيه يجتمع المسلمون من آفاق الدنيا، ولا يوجد نظير لهذا الجمع في غيره، وهو يُذَكِّر باجتماع الخلائق يوم القيامة بين يدي الله عز وجل. والوقوف بعرفة ركن من أعظم أركان الحج، ففي سنن أبي داود وغيره عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: «أتيت النبي ﷺ وهو بعرفة، فجاء ناس أو نفر من أهل نجد، فأمروا رجلاً فنادى رسول الله ﷺ كيف الحج؟ فأمر رجلاً فنادى: الحج. الحج يوم عرفة، من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جَمْعٍ فتم حجه، أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه، قال: ثم أردف رجلاً خلفه فجعل ينادي بذلك». [أبو داود ١٩٥١ وصححه الألباني].

قال العز بن عبد السلام في قوله ﷺ: «الحج عرفة». تقديره: «إدراك الحج وقوف عرفة، وفي المفاتيح شرح مشكاة المصابيح مرقاة المصابيح: أي ملاك الحج ومعظم أركانه وقوف عرفة؛ لأنه يفوت بفواته». [عون المعبود ٥ / ٤٢٥].

وليوم عرفة فضائل منها: أن الله أكمل فيه الدين للمسلمين، وأتم عليهم نعمته، ورضي لهم الإسلام دينًا، كما ثبت عن طارق بن شهاب قال: جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أي آية؟ قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾. قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة». [متفق عليه].

وهذا يقتضي ألا يعدل المسلم عن الكتاب والسنة، وأن ينقطع الجميع عن البدع والإحداث في الدين؛ لأن الدين قد كمُل بخبر الله تعالى، والكامل لا يحتاج إلى زيادة أبدًا، وإلا كان ناقصًا، وهذا يخالف ما جاء عن الله - تبارك وتعالى -.

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث



بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم - صلوات الله وسلامه عليه -، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به؛ فهو حق وصدق، لا كذب فيه، ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فارضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه». [تفسير ابن كثير: ٢ / ١٩ - ٢٠].

ولهذا كان أهل السنة والجماعة، على مر العصور، يأمرون بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وتحكيمهما في المسائل العلمية والعملية، وهذا أصلٌ تميزوا به عن غيرهم؛ مقتدين في ذلك بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، ولهذا نراهم لا يُقرُّون قولاً ولا يقبلون اجتهادًا إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة، وبهذا يُعلم أن الكتاب والسنة هما أصل الاستدلال في الدين، والناس ليسوا في حاجة إلى مصادر أخرى.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها». [الرسالة: ٢٠]، ثم ذكر قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، والشافعي بصنيعه هذا يبين أن السنة شارحة وموضحة للكتاب، وفيها غُنية وكفاية بحمد الله.

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: «ولا تجد من يقول: إنه محتاج إلى غير آثار الرسول ﷺ إلا من هو ضعيف المعرفة والاتباع لآثاره، وإلا فمن قام بما جاء به الكتاب والسنة أشرف على علم الأولين والآخرين، وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمداً ﷺ عما سواه». [الصفدية: ١ / ٢٦٠].

ومن المقطوع به أن النبي ﷺ بلّغ ما أنزل الله إليه، وقد استنطق من حضر من أمته معه في حجة الوداع يوم عرفات في خطبته البليغة، وشهدوا له بتبليغ الرسالة، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في سياق حديثه عن حجة الوداع، وفيها أن النبي ﷺ قال: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد». ثلاث مرات. [صحيح مسلم: ١٢١٨].

ومن فضائل يوم عرفة: أنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها، والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف، قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟!». [مسلم: ١٣٤٨].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة؛ فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا». [أخرجه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: ١١٥٣].

وأهل التقى في الموقف تستشعر قلوبُهم قربَ ربهم منهم، فيزدادون قوة إلى قوة، وفرحًا وسرورًا ورجاءً لفضل الله تعالى وكرمه، والدعاء في يوم عرفة من أفضل ما يفعله الحاج؛ لأنه من الأوقات الفاضلة التي تُستجاب فيها الدعوات، وتُغفر فيها الزلات وتُكفر الخطيئات، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». [صحيح مشكاة المصابيح(٢٥٩٨)].

فينبغي للحاج في هذا اليوم الإكثار من الدعاء، والتوجه إلى الله، والتضرع بين يديه، والإلحاح في الدعاء، وأن يردد كثيرًا كلمة التوحيد، فهي أصل دين الإسلام الذي أكمله الله تعالى في هذا اليوم، وفي مسند أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير».

وليس للدعاء بعرفة أدعية مخصوصة، بل يدعو ربه بما شاء، وكل واحد من العبيد له مسألته وحاجته، لكن ينبغي أن يكون الدعاء من الأدعية المشروعة، وليس فيه اعتداء، وقد ورد في القرآن

والسنة أدعية كثيرة، وهي من جوامع الكلم، وفيها العصمة من الزلل والخلل، وعلى الداعي أن يكون قلبه حاضرًا موقنًا بالإجابة، مكثرًا من الثناء على الله والصلاة على رسول الله ﷺ، ويكون الدعاء في أي مكان من عرفة مستقبلاً القبلة، ولا حاجة للذهاب إلى ما يُعرف بجبل الرحمة وصعوده؛ لعدم ورود دليل بذلك، ويستحب رفع اليدين في الدعاء.

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح بابًا في كتاب الدعوات بعنوان: «رفع الأيدي في الدعاء»، وأورد تحته عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: «دعا النبي ﷺ، ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه». قال ابن عمر: «رفع النبي ﷺ يديه، وقال: إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، وقال الحافظ في شرحه للأحاديث: «ومن الأحاديث الصحيحة في ذلك ما أخرجه المصنف - أي البخاري - في «جزء رفع اليدين»: «رأيت النبي ﷺ رافعًا يديه يدعو لعثمان» ولمسلم من حديث عبد الرحمن بن سمرة في قصة الكسوف: «فانتهيت إلى النبي ﷺ وهو رافع يديه يدعو». [فتح الباري ١١ / ١٤٢].

وورد في رفع اليدين في الدعاء بعرفة حديث النسائي عن أسامة بن زيد قال: «كنت رديف النبي ﷺ بعرفات، فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته فسقط خطامها، فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى». [النسائي ٣٠١١ وصححه الألباني].

ومن الأحاديث الثابتة في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن ربكم حَيِيٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرًا» [أبو داود ١٤٩٠ وصححه الألباني].

فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن من آداب الدعاء رفع اليدين إلى الله، وأن ذلك من أسباب إجابة الدعاء وقبوله، وقد عدّ بعض أهل العلم الأحاديث الواردة في رفع اليدين في الدعاء في جملة ما تواتر معناه عن النبي ﷺ، قال السيوطي - رحمه الله - ممثلاً لما تواتر معناه عن النبي ﷺ: «فقد ورد عنه ﷺ نحو مائة حديث فيه رفع يديه في الدعاء، وقد جمعتها في جزء، لكنها في قضايا مختلفة، فكل قضية منها لم تتواتر، والقدر المشترك فيه الرفع عند الدعاء تواتر باعتبار المجموع». [تدريب الراوي ٢ / ١٨٠].

ومن فضائل يوم عرفة أن صيامه يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وهو بذلك أفضل يوم يُصام تطوعًا، وفي مسلم وغيره عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده». [رواه مسلم: ١١٦٢].

وفيه أيضًا أن النبي ﷺ سُئل عن صوم يوم عرفة. فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية»، وهذا أجر عظيم لعمل يسير، والفضل والمنة لله وحده.

وأما الحاج فالأفضل في حقه ألا يصوم، قال ابن القيم رحمه الله: «وكان من هديه ﷺ إفطار يوم عرفة...، وقد ذُكر لفطره ﷺ بعرفة عدة حِكم، منها: أنه أقوى على الدعاء». [زاد المعاد ٢ / ٧٧].

قلت: وهو الواقع، فالفطر في هذا اليوم يقوّي على الذكر والدعاء، والنبي ﷺ مع حثّه الناس على صيام يوم عرفة، إلا أنه كان مفطرًا فيه، وهو على عرفات، كما ثبت في الصحيحين من حديث أم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها أن ناسًا تماروْا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلتْ إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره؛ فشربه. [البخاري: ١٩٨٨، ومسلم: ١١٢٣]، وقد ذكره مسلم تحت باب: «استحباب الفطر للحاج يوم عرفة».

وبعد أيام سيصعد الحجاج إلى عرفات، فيا فوز من وقف هناك، ونال الرضا والقبول من الرب الغفور، ورجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ومن لم يُكتب له الحج؛ فعليه بكثرة الصالحات، والتزود بالطاعات من الصلاة والصيام، والذكر والدعاء، وسائر ألوان البر والصدقات، وعلى الجميع تحقيق التوحيد، وإخلاص العمل لرب العبيد، والتذلل والانكسار بين يدي العزيز الغفار، والاجتهاد في العشر الأُوَل من ذي الحجة، فإن العمل فيها أحب إلى الله تبارك وتعالى، كما صح بذلك الخبرُ عن النبي ﷺ.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يجعلنا من عتقائه من النار، وأن يشرح صدورنا بالسنة والقرآن، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أمة الإسلام بين آلام وآمال

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين، وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وبعد:

فقد قدر الله تعالى أن تعيش الأمة الإسلامية في هذه الآونة بين المؤامرات والفتن التي تهب على أمة الإسلام من كل فج، وها هي الأيام تكشف عن مؤامرات أعداء الأمة من الداخل والخارج، فهما وجهان لعملة واحدة.

وها هي مؤامرات الغرب وأمريكا يكشفهما موقع «ويكيليكس» وهو موقع متخصص في نشر الوثائق السرية، ففي أكثر من أربعمائة ألف وثيقة، كشف الموقع ضخامة التآمر الغربي والأمريكي، وضلوع الموساد الإسرائيلي مع إيران لضرب السنة في العراق...

ومؤامرات الغرب لضرب السودان وتفكيكه وبذر نيران حرب مشتعلة تقضي على الأخضر واليابس.. وما يحدث للمسلمين في أمريكا بل وفي العالم الغربي كله من طعن في أصول الدين، ومفتريات المغرضين، ولكن يبقى الأمل في الله سبحانه فهو وحده القادر على كشف الغمة. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧].

أحوال وأهوال تحيط بالأمة من كل فج

تعاني الأمة الإسلامية من أحداث موجعة، من فتن ومؤامرات تُحاك للأمة من كل جانب، وقد سمعنا في الآونة الأخيرة عن المؤامرات الأمريكية والغربية والتي تم تنفيذها في العراق من خلال وثائق وكيليكس عما حدث في العراق مع بداية الغزو الأمريكي الغربي المبطن بشعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والقتل والتنكيل، وما تم نشره في أربعمائة ألف وثيقة تسرد وتصف وقائع وجرائم يندى لها الجبين؛ مارسها الجيش الأمريكي بحق الشعب العراقي، كما تحكي وقائع فرق الموت العراقية التي تشكلت في عهد حكومة رئيس الوزراء المنتهية ولايته نور المالكي، والتي كان لها سجون خاصة تلقي فيها معارضيها من السنة وتعذيبهم بلا رحمة.

وتقول الوثائق أيضًا: إن هذه الوحدات طالما نفذت أوامر مباشرة من نور المالكي نفسه، وأن الغالبية العظمى من ضحاياها كانوا من السنة العراقيين، وأن عمل هذه الفرق تأسس على مبادئ وأسس طائفية لنصرة الشيعة عامة وتثبيت القيادة لحزب الدعوة الذي يرأسه

لم يعد هناك ما يمكن أن تخدع به إيران أي عربي أو مسلم بعد أن وظفت كل قوتها لممارسة أبشع أنواع التنكيل والقتل والنهب في تصفية للحسابات مع أهل السنة في العراق.

المالكي ومناصروه.

وقد تضمنت الوثائق الكثير فيما يدخل في باب جرائم بامتياز، وتكشف حقيقة العلاقة الثلاثية بين الاحتلال الأمريكي، والنفوذ الدموي الإيراني، والقوى السياسية العراقية الجديدة الحاكمة، وهي سياسة تأسست على نهب العراق، ونشر الفوضى والخراب فيه، وتصفية الحسابات بالطرق الوحشية والإجرامية بحق الأبرياء العراقيين.

والدرس المستفاد من تلك الوثائق التي تم الكشف عنها في الأيام الماضية يتعلق بتأكيد الدور الإيراني المتآمر مع الغرب والأمريكان في لعبة اقتسام الكعكة، ولغة المصالح، وهو دور مؤلم ومحزن ودموي بكل المقاييس ليس فقط لاستناده إلى الطائفية كمعيار للتعامل بين العراقيين، بل لم يعد هناك ما يمكن أن تخدع به إيران أي عربي أو مسلم بعد أن وظفت تلك الفرص لممارسة أبشع أنواع التنكيل والقتل والنهب في تصفية للحسابات مع أهل السنة في العراق.

وعلى الجانب الآخر فإننا نرى ما يحدث للمسلمين في أمريكا في ابشع صورة للعنصرية ممن يدّعون الحرية، فترى المسلمين ومساجدهم في أمريكا يتعرضون للقتل والسرقة والتخريب بسبب الخطاب التحريضي. والساسة اليمينيون «المتطرفون الجدد» في أمريكا يؤكدون أن الإسلام ليس دينًا، والمسلمين ليسوا مواطنين أسوياء، والمساجد مجرد أوكار تأوي المتطرفين، بينما صحائف القرآن الكريم يتم إلقاؤها ممزقة وملطخة بالبتزا أمام المراكز الإسلامية في أمريكا!! وقرابة عشرة ملايين مسلم في أمريكا لم يحتفلوا بعيد الفطر خوفًا من تفسير الاحتفال بأنهم يحتفلون بالحادي عشر من سبتمبر!!

بينما ينتظر السودان الشقيق سلسلة من المؤامرات التي يتقن تنفيذها الغرب والأمريكان مع وجود أصابع خفية لليهود والموساد الإسرائيلي تعمل بكل قوة لضرب وحدة السودان وتفتيته، وفصل الشمال عن الجنوب، بل وزرع الفتن لإشعال نار حرب دامت عشرات السنين بين أهل السودان كمقدمة لتفتيت دول أخرى يأتي عليها الدور ضمن المخطط الأمريكي الغربي.

قدر الله عز وجل لهذه الأمة

وإذا كان قدر الله لجيل من هذه الأمة أن يعيشوا في مرحلة من ضعفها وفترة من فتورها وظهور غيرها عليها، فإن المتعين عليها التعلق بما يثبّتها على دينها؛ لأن الإسلام في زمان قوته كفيل بذاته في تثبيت أهله بإذن الله، أما في زمن الانكسار وعهد الانحدار فهذا زمن يحق فيه الابتلاء الذي يتميز فيه الخبيث من الطيب، وكلما زاد الضعف وكثرت الفتن كلما استطال عنق النفاق وظهر المنافقون، وجاهروا بما في قلوبهم وأظهروا خفايا صدورهم.

الثبات عند الفتنة

من أسباب الثبات على دين الله الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بما فيهما واتباع هديهما، والاقتداء بسلف الأمة الصالحين من الصحابة ومن سار على نهجهم، والالتفاف حول العلماء الربانيين والدعاة الصادقين الذين عرفوا بنصحهم وسلامة منهجهم، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، واعتزال الفتنة، ودعاء الله وسؤاله والإلحاح عليه بطلب الثبات، فلا غنى للعبد عن ربه.

التوبة مفتاح الفرج

إن الأمة الإسلامية اليوم على مستوى الأفراد والجماعات، وهي تعيش حياة الاضطراب والقلق وعدم الاطمئنان والاستقرار، في ضرورة إلى تحقيق ما تحصل به حياة طيبة وعيشة راضية وعاقبة حميدة، وفي حاجة أشد من كل حاجة إلى حياة تنشرح فيها القلوب، وتطمئن فيها النفوس،

ويرتاح فيها البال، وتأنس معها الأبدان، وأن تعلم أنها مهما أوتيت من أسباب التقدم وعناصر الرقي فلن تجد للسعادة سلمًا، ولا للحياة الطيبة سببًا إلا فيما ارتضاه للبشرية خالقُها، وفيما جاءت به رسالة ربها المنزلة على خاتم النبيين وسيد المرسلين، نبينا محمد ﷺ.

فمن حقق ذلك تولاه الله جل وعلا وأخرجه من الظلمات بصرفه عنها أو صرفها عنه، كما قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾.

الإيمان والتوحيد طريق النجاة

وبتحقيق التوحيد ومقتضياته تكمل الأسباب التي تُرفع بها عن الأمة الشرور، وتزول بها عنها الأضرار التي تأتي من شياطين الإنس والجن، ولهذا فأهل التوحيد الخالص، والإيمان الصحيح، والطاعة الحقة لله ولرسوله يفوزون بدفاع الله عنهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الرعد: ٣٨].

فيا أيها المسلمون اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين، وسنة الله لا تتخلف ولا تتوقف: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا؟ فتأهبوا بالتوبة، وكونوا لله أنصارًا، واستغفروا ربكم إنه كان غفارًا، والتوبة تدفع عنكم ما لا يدفعه السلاح، وتمنع عنكم ما لا يمنعه التشدق والصياح: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

نصر الله آت ولو كره المشركون

كتب الله تعالى الغلبة والنصر لأوليائه: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وأكد على رفعهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١]، ووعد بأن يمن على المستضعفين بالنصر والتمكين. فقال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥].

من أسباب الثبات على دين الله: الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بما فيهما، واتباع هديهما، والاقتداء بسلف الأمة الصالحين من الصحابة ومن سار على نهجهم، والالتفاف حول العلماء الربانيين والدعاة الصادقين.

فعليكم يا معشر المسلمين أن تعودوا إلى ربكم وتتوبوا إليه وتتوكلوا عليه ولا تخافوا إلا إياه، ولا تغتروا بما وصل إليه عدوكم من الباطل.

قال الله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

ومهما كثر عددهم وتنوعت عدتهم، وأنفقوا من أموال، وأعدوا من عُدة في سبيل حربكم، فأعدوا أنتم لهم ما استطعتم من القوة الإيمانية والقوة التسليحية.

ولا تتنازلوا لهم عن شيء، فكلما تنازلتم؛ طلبوا المزيد، ولن يرضوا بتنازلاتكم إلا في حالة واحدة؛ أن تتركوا دينكم، وقد أخبر بذلك العليم الخبير: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾، فالله معكم وسيهلك عدوكم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

لا تحسبوه شرًا لكم

إن نصيحتنا لجموع المسلمين أن يلجأوا إلى الله بالدعاء، فإن الله سبحانه قد يجعل من المصائب أبوابًا يأتي منها الخير الكثير، ولنتذكر قول الله تعالى عقب حادثة الإفك: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [النور: ١١]، وحديث رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء

شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرًا له». [مسلم ٢٩٩٩].

ولنتذكر أنه وقعت أنواع كيد كثيرة فتح الله بها أبواب النصر لدينه، منها وقوف الكفرة على مداخل المسجد الحرام، يحذرون الناس من الاستماع إلى رسول الله ﷺ لينفضوا من حوله، فإذا بدعاياتهم ضده تحولت إلى دعاية له ﷺ، وما كان المسلمون المستضعفون ليقدروا على مثلها.

الاستعانة بالله والتوكل عليه

ليكن المسلم على يقين بأن الكون بيد مدبره، وأن الخلق خلق الله، والأمر أمره، فالواجب علينا التوجه إلى الملك المدبر عز وجل لإصلاح شئون الدنيا والدين، ثم نأخذ بما في أيدينا من أسباب، وذلك هو الباب الوحيد الذي من ضل عنه لم يجد مخرجًا ولا خلاصًا، لأن الله يكله إلى نفسه، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

واجتماع أمر الناس وصلاح شأنهم من الصعب تحقيقه دون الاعتصام بحبل الله، ومع توجه العبد إلى عبادة الله وطاعته، فإنه لا غنى له عن عون الله طرفة عين، ولذا أُمر العبد أن يقول في صلاته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وهكذا سائر شئون الإنسان، ما لم يستعن فيها بربه تفرق عليه أمره، واستعصى عليه أسهل الأمور، فكيف بالفتن والشدائد، قال الله عز وجل: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

نسأل الله العلي القدير أن يعز الإسلام وأهله، وأن ينصر المسلمين على أعدائهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأمة الإسلامية تودع عالمًا جليلًا

تُوفي الشيخ محمد بن جميل زينو (عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية سابقًا) عن عمر يناهز الخامسة والثمانين عامًا، أثرى خلالها المكتبة الإسلامية بالكثير من مؤلفاته التي تُعنَى بنشر العقيدة السلفيّة النقية، وبيانها بأسلوب واضح بسيط.

وصُلّي على الفقيد صلاة الجنازة التي أقيمت في الحرم المكي الكثير من أهل العلم والفضل.

ولد الشيخ زينو في مدينة حلب السورية عام ١٩٢٥م، الموافق ١٣٤٤هـ، ولمّا بلغ العاشرة من عمره التحق بمدرسة خاصة تعلم فيها القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة دار الحفاظ لمدة خمس سنين، حفظ خلالها القرآن الكريم كاملاً، ثم التحق بما يسمى آنذاك بالكلية الشرعية التجهيزية- وهي الآن الثانوية الشرعية-، وهي تابعة للأوقاف الإسلامية، وهذه المدرسة تجمع بين تدريس العلوم الشرعية والعصرية.

وللشيخ زينو الكثير من المؤلفات ومن أهمها: معلومات مهمة من الدين، فضائل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، تحفة الأبرار في الأدعية والآداب والأذكار، شهادة الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، الصلاة عماد الدين، أحكام الزكاة والمعاملات، كيف اهتديت؟ الصوفية في ميزان الكتاب والسنة، أخطاء شائعة، تفسير وبيان لأعظم سور القرآن.

وفي كلمة وجهها الشيخ رحمه الله تعالى إلى جماعة أنصار السنة في كتابه «كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم؟» قال - رحمه الله: (السلفيون، وأنصار السنة المحمدية وصيتي لهم:

١- أن يستمروا في دعوتهم إلى التوحيد والحكم بما أنزل الله، وغيرها من الأمور المهمة.

٢- أن يرفقوا في دعوتهم، ويستعملوا اللين من القول مهما كان الخصم عملاً بقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٣- أن يصبروا على ما يصيبهم من أذى، فإن الله معهم بنصره وتأييده، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨].

ومن أشهر ما كتبه الشيخ الجليل كتاب (توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع) الذي غزا القلوب وعمرت به كثير من البيوت.

وقد كانت للشيخ - رحمه الله - العديد من المقالات التي تم نشرها بمجلة التوحيد.

وجماعة أنصار السنة المحمدية تسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يدخله الفردوس الأعلى، وأن يلهم أهله الصبر والسلوان.



سورة الصافات

الحلقة الثانية

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ
(١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ
(١٥) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ
دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)
هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ
(٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا
تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا
إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢)
فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ
وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١١ - ٣٧].

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

دلائل إمكان البعث

إن الإيمان باليوم الآخر من أهم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله عزَّ وجلَّ، وما جادل المشركون في شيء مما دُعوا إلى الإيمان به كما جادلوا في التوحيد والبعث بعد الموت.

أما التوحيد فقد كانوا ألفوا تعدد الآلهة، فلما قال لهم النبي ﷺ: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، ولما قال لهم: إنكم بعد الموت مبعوثون، وإلى الله راجعون، قالوا: ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات: ١٦ - ١٧]، وقالوا: ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ٣].

فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يلفت أنظارهم إلى مظاهر قدرة الله عزَّ وجلَّ، التي تدلهم على أن الله يحيي الموتى، ويبعث من في القبور، فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ يا نبينا أيهم أشد خلقًا؟ ﴿ أَهُمْ ﴾؟ ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ من السموات والأرض والجبال وغيرها؟ والجواب: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، أفيعجز الذي خلق السموات والأرض والجبال أن ينشئكم مرة أخرى بعد موتكم؟! ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١]، وهذا دليل من أدلة إمكان البعث، أن الله تعالى خلق السموات وهي أشد خلقًا من الناس، فلن يعجز عن إعادة الناس، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

والدليل الثاني: من نفس الآية: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾، أي: قوي شديد متماسك، يلزق بعضه

ببعض كالغراء، وإذا خلقناهم أول مرة، فكيف نعجز أن نخلقهم مرة ثانية؟ ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة:]،أي: فلولا تذكرون فتعلمون أن الذي أنشأكم أول مرة قادر على أن ينشئكم النشأة الأخرى، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال جلا وعلا: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

فهذان دليلان من أدلة إمكان البعث في آية واحدة.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ انظر إلى الفرق بين النبي ﷺ وبينهم، ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ يا نبينا من قدرة ربك على إحياء الموتى، ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من قولك: إن الله يحي الموتى.

القول في صفات الله عزّوجلّ

وهناك قراءة بضم التاء، على أنها تاء المتكلم (عَجِبْتُ)، يقول الله تعالى: بل عجبتُ من إنكارهم البعث بعد موتهم، وقد علموا أني خلقتهم، ولذلك بصق النبي ﷺ ذات يوم في يده، ثم قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزَنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا». [حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢١٨٨].

فالله يعجب من إنكار المشركين أنَّه يبعثهم بعد الموت، والعجب صفة من صفات الفعل لله كالفرح والضحك، والرضا والغضب، والنزول والمجيء، ونحو ذلك من صفات الأفعال، والقول فيها وفي صفات الذات: إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، نُثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في محكم كتابه، أو فيما صح على لسان رسوله ﷺ، من غير تكييف ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تعطيل؛ وقوفًا عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾، إذا ذُكِّروا بآيات الله سبحانه وتعالى الداعية للإيمان، الداعية للإسلام، الداعية للتقوى، لا يذكرون، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وما هم بمؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ من آيات ربهم التي تدلهم على قدرته ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، سحر بيِّن واضح، سبحان الله! جعلوا الحق الواضح سحرًا واضحًا، وشتان ما بين السحر والحق، شتان ما بين الباطل والحق، وهذا هو موقفهم الثابت من آيات الله، كما قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢]، قال المشركون: «يا محمد! أرنا آية تشهد لك بأنك رسول الله! فسأل الله أن يريهم آية، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْهَدُوا، اشْهَدُوا». [متفق عليه].

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بعد ما نموت؟! ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ الذين ماتوا من سنين يبعثون أيضًا؟! قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ يعني إنكم مبعوثون ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾، أي تبعثون يوم القيامة أذلاء صاغرين، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، أذلاء صاغرين، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، ذلاً وانكسارًا وهوانًا.

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ يبعثكم الله عزَّ وجلَّ حالة كونكم داخرين، أذلاء صاغرين، وهذا كما قال النبي ﷺ لذلك الرجل الذي نزلت فيه الآيات الخواتيم من سورة يس، لما أخذ عظمًا من البطحاء، ففتته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟! فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧- ٧٩]». [رواه الحاكم ٢ / ٤٢٩ وصححه في الصحيح المسند من أسباب النزول: ص١٢٩].

كذلك هذا الجواب من هذه الآية في سورة الصافات ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ والمراد بالزجرة، الصيحة الثانية، والنفخة الثانية، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

أحوال الكافرين يوم البعث

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الويل هو الهلاك، قالوا: يا ويلنا احضر فهذا أوانك، دعوا على أنفسهم بالويل والهلاك؛ لعلهم ينجون من العذاب الذي تحققوا أنه

ينتظرهم، ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ هذا يوم الحساب، هذا يوم الجزاء، فقالت لهم الملائكة، أو قال لهم أهل العلم من أهل الإيمان: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٥- ٥٦]، وفي سورة يس مضى معنا قول ربنا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ فاجيبوا ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

أبواب النار

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾:

الحشر معناه الجمع، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم الكافرون المشركون، كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أي أشباههم ونظراءهم، يعني صنفوهم، احشروا عابد الوثن مع عابد الوثن، وعابد الكواكب مع عابد الكواكب، وعابد الشمس مع عابد الشمس، وعابد القمر مع عابد القمر، وكذلك يُحشر الذين ظلموا أنفسهم من هذه الأمة، أصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣- ٤٤]، فكل باب له صنف معين.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ حتى الآلهة التي كانوا يعبدونها احشروها معهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨- ١٠٠]، نسأل الله السلامة والعافية.

﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ دلُّوهم وأرشدوهم ﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾. وقبل أن تدخلوهم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، حتى يتحقق ما وعدهم به ربهم، حيث قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

خذلان أهل النار بعضهم بعضًا

ثم أقبل عليهم وقد اجتمعوا وما كانوا يعبدون من دون الله فقال لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾؟ لماذا لا ينصر بعضكم بعضًا، في يوم أنتم فيه أحوج ما تكونون إلى أن ينصر بعضكم بعضًا، فإذا لم ينصر بعضكم بعضًا اليوم فمتى ؟!وهذا لأنهم كانوا يقولون في الدنيا: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ [القمر]، ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ منقادون خاضعون، عرفوا أنه لا ينصرهم أحد من دون الله عزَّ وجلَّ.

تخاصم أهل النار

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ المراد بالبعض الأول الأصاغر التابعون، والمراد بالبعض الثاني الأكابر المتبوعون؛ لأن الظلمة قسمان: أكابر وأصاغر، ومن شأن الأصاغر أنهم يتبعون الأكابر، وهم يظنون أنهم يغنون عنهم من عذاب الله، حتى إذا كان يوم القيامة تبرأ المتبوعون من أتباعهم، وخذلوهم أحوج ما يكونون إليهم، وندم التابعون على اتباعهم، ولن ينفعهم الندم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥- ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[الشعراء: ٩١- ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤- ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١- ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧- ٤٨]. فلم ينصروهم، ولم ينفعوهم، ولم يدفعوا عنهم عذاب الله. فعندئذ قال الأصاغر للأكابر: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ كنتم تأتوننا من جهة الدين، من جهة الإيمان، من جهة الخير، وبالقوة تصدوننا عن الدين والخير والإيمان، ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ هل كنتم مؤمنين ونحن صددناكم عن الدين والخير والإيمان، وما كان لنا عليكم من قوة نتغلب بها عليكم، ولا نغلبكم بها، ولا نقهركم بها على الكفر، ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ أنتم أنفسكم كنتم مجرمين طاغين ظالمين مستعدين للكفر، رافضين للإيمان، ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ هؤلاء الأكابر يقولون للأصاغر: حقَّ علينا قول ربنا إنا لذائقون يعني العذاب، ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾، قلنا لكم اتبعونا، فتبعتمونا، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، وهذا كما قال الشيطان الأكبر- لعنه الله- لأتباعه في النار، كما حكى الله عزَّ وجل: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم].

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، وفي آية أخرى قال: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف]. الاشتراك في العذاب متى ينفع، ومتى لا ينفع، قالت الخنساء لما مات أخوها، وحزنت عليه حزنًا كبيرًا جدًا:

ولولا كثرة الباكين حولي
على إخوانهم لقتلت نفسي

فتسلَّتْ عن مصيبتها بوجود مصابين غيرها، عندما يُصاب الرجل بمصيبة، وينظر إلى مصابين آخرين تهون عليه مصيبته، فالاشتراك في المصيبة يجعل المصابين يسلِّي بعضهم بعضًا، فأهل النار اشتركوا في العذاب، ولكن لن ينفعهم هذا الاشتراك في تخفيف العذاب عنهم.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾، وأي جريمة أكبر من جريمة الشرك؟! ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يستكبرون عن قول لا إله إلا الله. ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ يعنون النبي ﷺ، فبرأه الله مما قالوا، فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم]، وقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٧٥- ٨٠]. فليس محمد ﷺ مجنونًا، ولا شاعرًا، ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾، وكيف كان مجيء النبي ﷺ تصديقًا للمرسلين، كيف صدق النبيُّ ﷺ الرسل؟ لأن الرسل كلهم بشَّروا بمحمد ﷺ ومجيئه، التوراة بشَّرت به، والإنجيل بشَّر به، وموسى بشَّر به، وعيسى بشَّر به، فكان مجيئه تصديقًا لهم، لو لم يبعث محمد ﷺ لكان عدم بعثته طعنًا في الكتب السابقة، وفي الرسل السابقين.

والحمد لله رب العالمين

باب السنة

من علامات الساعة: قبض العلم

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، مالك الملك، بيده مقاليد السماوات والأرض، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأتقياء والصادقين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعدُ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لأُحَدِّثَنَّكُمْ حديثًا لا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ؛ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم تحت باب «رفع العلم وظهور الجهل» برقم (٨١)، وأطرافه فيما يأتي: برقم (٨٠) تحت الباب نفسه، وبرقم (٥٢٣١) في كتاب النكاح، باب: «يقل الرجال ويكثر النساء»، وفي باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ من كتاب الأشربة، برقم (٥٥٧٧)، وفي باب إثم الزناة من كتاب الحدود برقم (٦٨٠٨)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب العلم باب «رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان» برقم (٢٦٧١). وأخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٢٨٠٦). والترمذي برقم (٢٢٠٥)، والنسائي برقم (٥٩٠٦) وابن ماجه برقم (٤٠٤٥).

شرح الحديث

أولاً: شرح الألفاظ

قول أنس رضي الله عنه: «لأحدثنكم» هو جواب قسم محذوف، والتقدير: والله لأحدثنكم، قال الحافظ: وصرح به أبو عوانة من طريق هشام عن قتادة؛ أي صرح بالقَسَم، وقد جاء في رواية مسلم عن غندر عن شعبة: ألا أحدثكم، فيحتمل أن يكون قال لهم أولاً: ألا أحدثكم! فقالوا: نعم، فقال: لأحدثنكم. وقوله: «لا يحدثكم أحد بعدي» بحذف المفعول، وقد جاء في بعض روايات الحديث عند مسلم «لا يحدثكموه» بذكر المفعول، وهو من رواية

محمد بن بشر، وعَبْدَة، وعند البخاري من طريق هشام: «لا يحدثكم به غيري»، وكذا لابن ماجه من رواية غندر عن شعبة.

قوله ﷺ: «أن يَقِلَّ العلم» من القلَّة، وفي رواية عن غندر وغيره عن شعبة: «أن يُرفَع العلم»، وكذا عند البخاري عن همام في كتاب الحدود، وعن هشام في كتاب النكاح. قال الحافظ: فيحتمل أن يكون المراد بقلته أول العلامة، وبرفعه آخرها. أو أُطلقت القلة وأُريد بها العدمُ، كما يُطلق العدمُ ويُراد به القِلة. قال: وهذا (أي الأخير) أَلْيَق لاتحاد المخرج.

قوله ﷺ: «القَيِّم»: أي من يقوم بأمرهن، واللام للعهد؛ إشعارًا بما هو معهود من كون الرجال قوامين على النساء.

ثانيا: المراد بالساعة، وكذا الأشراط

الساعة المقصود بها القيامة، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بهذا المعنى في أربعين موضعًا في نحو أربع وعشرين سورة.

والأصل في الساعة أنها جزء من أجزاء الزمان، قال الراغب في المفردات: ويعبَّر بها عن القيامة، قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [النازعات: ٤٢]، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥]، تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥]، وقيل: الساعات التي هي القيامة ثلاثٌ: الساعة الكبرى، وهي بَعْث الناس للمحاسبة، وهي المشار إليها بمثل هذا الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم...». والثانية الساعة الوسطى، وهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو ما رُوي أنه رأى عبد الله بن أنيس فقال: «إن يطل عُمْر هذا الغلام؛ لم يمت حتى تقوم الساعة». فقيل: إنه آخر من مات من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

والساعة الثالثة هي الصغرى، وهي موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٣١]، ومعلوم أن هذه الحسرة تنال الإنسانَ عند موته، بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]. ورُوي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا هبَّت ريحٌ شديدة تغيَّر لونُه عليه السلام، فقال: «تخوفت الساعة». اهـ. بتصرف.

وأما أشراط الساعة فالمراد بها علاماتها

وهي جمع شَرَط مثل: قَلَم جمعه أقلام. وقد ورد ذكره في القرآن مرة واحدة في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

وأما السُّنة فقد وردت أشراط الساعة في أحاديث كثيرة، بيَّن فيها النبي ﷺ كثيرًا من علامات الساعة.

قال الراغب: الشرط: كل حكم معلوم يتعلق بأمر يقع بوقوعه؛ وذلك الأمر كالعلامة له، وشريطٌ وشرائطُ ومنه قيل للعلامة: الشَّرَطُ، وأشراط الساعة علاماتها: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾. اهـ. بتصرف.

ثالثا: شرح الحديث

بوَّب الإمام البخاري لهذا الحديث، وحديث آخر لأنس أيضًا رضي الله عنه بقوله: «باب رفع العلم وظهور الجهل»، وأورد تحت الترجمة قول ربيعة بن عبد الرحمن المشهور بـ «ربيعة الرأي»: لا ينبغي لأحدٍ عنده شيء من العلم أن يضيِّع نفسه.

وقال الحافظ في الفتح: مقصود الباب الحثّ على تعليم العلم، فإنه لا يُرفع إلا بقبض العلماء كما سيأتي صريحًا، وما دام من يتعلم العلم موجودًا؛ لا يحصل الرفع، وقد تبين من حديث الباب أن رفعه من علامات الساعة. وقد ورد في حديثنا: (أن يقل)، وفي الحديث الآخر أن يُرفَع، فالمراد بهما واحد، وهو رفع العلم. وقد ورد أيضًا قبض العلم وهو بمعنى رفعه، ولكن كيف يُقبض العلم؟

وقبل أن نجيب عن هذا التساؤل نبيِّن المقصود بقول ربيعة بن أبي عبد الرحمن الذي أورده البخاري تحت باب «رفع العلم وظهور الجهل». قال الحافظ ابن حجر: ومراد ربيعة: أن من كان فيه فَهْمٌ وقابلية للعلم؛ لا ينبغي له أن يُهمل نفسه فيترك الاشتغال بطلب العلم؛ لئلا

يؤدي ذلك إلى رفع العلم. أو مراده الحث على نشر العلم في أهله؛ لئلا يموت العالم قبل أن ينشر العلم في أهله؛ فيؤدي إلى رفع العلم. أو مراده أن يشهر العالم نفسه ويتصدى للأخذ عنه؛ لئلا يضيع علمه. وقيل: مراده تعظيم العلم وتوقيره، فلا يهين نفسه بأن يجعل منه عَرَضًا للدنيا. قال: وهذا معنى حسنٌ، لكن اللائق بتبويب المصنِّف ما تقدم.

كيف يُقبض العلم؟

هذه ترجمة ترجم بها الإمام البخاري لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وساق بسنده عن عروة قال: حج علينا عبدالله بن عمرو فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جُهَّالاً؛ فسُئلوا؛ فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا» فحدثت به عائشة زوج النبي ﷺ ثم إن عبدالله بن عمرو حج بعدُ فقالت: يا ابن أختي انطلق إلى عبدالله فاستثبت لي منه الذي حدثتني عنه فجئته فسألته فحدثني به كنحو ما حدثني، فأتيت عائشة فأخبرتها، فعجبت وقالت: والله لقد حفظ عبدالله بن عمرو. [خ: ٧٣٠٧، م: ٢٦٧٣].

ولكن البخاري ساق قبل الحديث تحت الترجمة كتاب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- إلى أبي بكر بن حزم؛ قال: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس اندراس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولْتُفْشُوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعلم من لا يَعْلَمُ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا. ثم ساق السند الذي أدى إليه ما كتبه عمر بن عبد العزيز، رحمه الله.

فقول عمر بن عبد العزيز: «انظر ما كان» أي اجمع الذي تجده عندك أي في بلدك. وقوله: «فاكتبه» يُستفاد منه بداية تدوين الحديث النبوي، فإنهم قبل ذلك كانوا يعتمدون على الحفظ في عامتهم، وأما بعض الأفراد؛ فإنهم كانوا يكتبون مثل ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما كان أحدٌ أكثر حديثًا مني عن رسول الله ﷺ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب».

فلما خاف عمر بن عبد العزيز - وكان على رأس المائة الأولى، وقيل إنه مجدد المائة الأولى- من ذهاب العلم بموت العلماء؛ رأى أن في تدوينه ضبطًا له وإبقاءً.

قال الحافظ: وقد روى أبو نعيم في تاريخ أصبهان هذه القصة بلفظ: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: «انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه». وهذا الذي فعله عمر بن عبد العزيز بتوفيق من الله تبارك وتعالى يشبه ما أشار به جدّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كتابة القرآن؛ خوفًا عليه من أن يضيع شيء منه؛ لما استحرَّ القتل بقُرّاء القرآن الكريم في موقعة اليمامة على عهد الصديق رضي الله عنه.

وفي موت العلماء: ذهابُ العلم، ونقصُ للأرض من أطرافها، وفشوٌ للجهل وانتشارٌ، وحينئذ لا يعرف الناس معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، بل يعيشون في تيه وضلال، في جميع نواحي الحياة، فلا عقيدةً حفظوا، بل ربما أشركوا بالله وكفروا وهم يحسبون ذلك إيمانًا وتوحيدًا، ولا العبادةَ صححوا، بل يسيرون في بدع وجهل وضلال، وربما استفتى بعضهم بعضًا؛ فيفتون بغير علم، كما هو مشاهَد في كثير من القرى والبلاد والبوادي؛ فإن أغلب أهل تلك المناطق لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ويعيشون في جاهلية جهلاء؛ منهم من يعبد الجن والشياطين ويستغيث بهم، ويتوهم أنهم يغيثونه!

ومنهم من يتوجه إلى الأولياء والمقبورين من صالحين وغير صالحين، ويظن أنهم يملكون له وللخلق نفعًا أو ضرًا، ويقدم لهم القرابين؛ لعلهم يفرّجون همّه وينفّسون كربه، ويصلحون شأنه! وقد يطلب منهم الولد أو صلاحه وتوسعة الرزق، وردّ الظلم عنه!

ومنهم من يتبرك ببعض الأشجار والأحجار، يظن عندها منحَ الولد وعطاء الرزق وشفاء المرض!

وفي العبادات تجد البدع قد كثرت لانتشار الجهل، والفرائض ضُيِّعت، والمنكرات قد ارتُكبت

بسبب ضياع العلم وقلة أهله.

وفي المعاملات حدّث ولا حرج؛ فإن كثيرًا ممن يتصدون لإفتاء الناس؛ استهانوا بأنواع من البيوع التي نهى عنها الشرع، وانتشرت الرشوة، والغش في البيع والشراء؛ إما لضعف الوازع أو للجهل الذي يسيطر على الناس.

فأين العلماء الربانيون؟ الذين تعلموا العلم الصحيح النافع، وعملوا به في خاصة أنفسهم وذويهم وأهليهم، ثم علّموه الناس، ولم يكتموا منه شيئًا؟!

أين هؤلاء العلماء في الوقت الذي جهل فيه العامة كل شيء؟ فترى المرأة قد جمعت بين زوجين أو أكثر، أو قتلت ولدها لتصفو لرجل يغازلها ليهوي بها في مستنقع قذر؟!

أين العلماء وقد أفتى بعضُهم العاميَّ الذي طلق زوجته بلهجته العامية أن هذا ليس بطلاق؛ مع أن الأعجمي يطلق بلغته؛ والأعمال بالنيات كما بيَّن صاحب الرسالة ﷺ، وما معنى كنايات الطلاق عند من يفتي بهذه الفتاوى؟! هل الفتوى هي إيجاد حلول لمشاكل الناس ولو كان بتحليل الحرام أو تحريم الحلال؟!

فإذا قبض الله تعالى العلماء، فلم يُبْقِ عالمًا، اتخذ الناس رءوسًا أو رؤساء جهالاً، أي جهالاً بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم، فحينئذٍ يُسألون عن الأحكام الشرعية فيُفتون بغير علم - وربما أفتوا عنادًا - فيضلون في أنفسهم ضلالاً بعيداً، ببعدهم عن الحق.

وإن المرء ليتساءل: هل الذي يفتي عناداً أو يحكم عناداً، هل يستشعر عظمة الله وعظمة دين الله؟ ويستشعر حرمات الله تعالى عندما يتفوه بكلمة واحدة من كلامه الذي يلقيه على الناس؟! فيُضلون الخلق ويفسدون عليهم دينهم ودنياهم، وكثير من الناس يقع في حيرة عندما يفتيه هؤلاء، وكثير من الناس يسير وراءهم دهراً ثم بعد ذلك إن وجد من يعلّمه وينصحه؛ ندم على ما فات من عمره في الضلال الذي سار فيه بسبب فتاوى هؤلاء المفتين.

فائدة:

قال ابن حجر: وقد اشتهر هذا الحديث - حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - من رواية هشام بن عروة؛ فوقع لنا من رواية أكثر من سبعين نفسًا عنه من أهل الحرمين والعراقين، والشام وخراسان ومصر وغيرها.

ووافقه على روايته عن أبيه عروة أبو الأسود المدني، وحديثه في الصحيحين، والزهري؛ وحديثه في النسائي، ويحيى بن أبي كثير، وحديثه في أبي عوانة، ووافق أباهُ عُرْوَةَ على روايته عن عبد الله بن عمرو عمرُ بن الحكم بن ثوبان، وحديثه في مسلم.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - كأن هذه الأمور الخمسة خُصَّت بالذكر لكونها مُشعرةً باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهي: الدين؛ لأن رفع العلم يُخل به، والعقل لأن شرب الخمر يُخِل به، والنَّسَب لأن الزنا يُخِل به، والنفس والمال، لأن كثرة الفتن تُخِل بهما.

قال الكرماني: وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذنًا بخراب العالم؛ لأن الخلق لا يُتركون هملاً، ولا نبي بعد نبينا صلوات الله تعالى وسلامه.

وقال القرطبي في المُفهم: في هذا الحديث علَمٌ من أعلام النبوة؛ إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصًا في هذه الأزمان. اهـ.

وقال في التعقيب على حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «إن الله لا ينتزع العلم...»: وفي الحديث حضّ أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض، وفيه شهادة بعضهم لبعض بالحفظ والفضل، وفيه حضّ العالم طالبَه على الأخذ عن غيره؛ ليستفيد ما ليس عنده، وفيه التثبت فيما يحدّث به المحدّث إذا قامت قرينة الذهول ومراعاة الفاضل. إلى غير ذلك من الفوائد.

وسوف نتابع في المقالات التالية - إن شاء الله تعالى - شرح بقية أشراط الساعة في هذا الحديث وغيره.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا والمسلمين العلمَ النافع والعمل الصالح، وألا يفتنا في دنينا، وألا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، وأن يحسن لنا الختام، ويتوفنا مسلمين ويلحقنا بالصالحين غير خزايا ولا نادمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ثمرات مجالسة الصالحين

إعداد: / صلاح نجيب الدق



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مجالسة الصالحين لها ثمراتٌ مباركةٌ، تعود على صاحبها في الدنيا والآخرة، أحببت أن أذكّر بها نفسي وإخواني الكرام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) مجالس الصالحين، مجالس ذكر لله تعالى، تحفها الملائكة، وتجلب البركة لكل من فيها

عَنِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وجلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ؟ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ. [البخاري حديث ٦٤٠٨، مسلم حديث ٢٦٨٩].

قال الإمام النووي رحمه الله: في هذا الحديث فضيلة الذكر، وفضيلة مجالسه، والجلوس مع أهله، وإن لم يشاركهم، وفضل مجالسة الصالحين وبركتهم. [مسلم بشرح النووي ٩ / ١٩].

(٢) مجالسة الصالحين تقرب صاحبها من طاعة الله تعالى، وتبعده عن المعصية:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ (يعطيك) وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ

مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً. [البخاري: ٥٥٣٤، ومسلم: ٢٦٢٨].

قال الإمام النووي رحمه الله: في هذا الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة. [مسلم بشرح النووي ٨ / ٤٢٧].

وقال ابن حجر رحمه الله: في هذا الحديث النهي عن مجالسة من يُتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما. [فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٤ / ٣٨٠].

(٣) مجالسة الصالحين خير وسيلة للاقتداء بالصالحين في أقوالهم وأفعالهم:

من المعلوم أن الإنسان يتأثر بمن يجالسه، وخاصة إذا تكررت المجالسة، ولذا حثنا نبينا ﷺ على حسن اختيار من نجالسه. روى أبو داودَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». [صحيح أبي داود للألباني حديث ٤٠٤٦].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ) معناه لا تخالل إلا من رضيت دينه وأمانته، فإنك إذا خاللته؛ قادك إلى دينه ومذهبه، ولا تغرر بدينك، ولا تخاطر بنفسك، فتخالل من ليس مرضيًا في دينه ومذهبه.

وقال أيضًا: يُقالُ: إن الخلة مأخوذة من تخلل المودة القلب وتمكنها منه: وهي أعلى درج الإخاء، وذلك أن الناس في الأصل أجانب؛ فإذا تعارفوا ائتلفوا فهم أوداء، وإذا تشاكلوا فهم أحباء، فإذا تأكدت المحبة صارت خلة. [العزلة للخطابي ص١١٩].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَدَلُّ عَلَى شَيْءٍ وَلَا الدُّخَانِ عَلَى النَّارِ مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ. [أدب الدنيا والدين للماوردي ص٢٠٥].

(٤) الجليس الصالح العالم ينفع صاحبه بعلمه في الدنيا والآخرة:

يستطيع من يجالس المسلم الصالح العالم أن يستفيد منه علمًا وأدبًا؛ فينتفع بذلك في الدنيا والآخرة.

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ». [البخاري: ١٩٦٨]. في هذا الحديث تَعَلَّمَ أبو الدَّرْدَاءِ من سلمان الفارسي الاقتصاد في أمور الدين والدنيا.

(٥) الجليس الصالح مرآة صادقة لأخيه المسلم:

الجليس الصالح هو الذي يعطيك صورة حقيقية عن نفسك، وبدون مجاملة، وهو الذي يبصّرك بعيوبك لتتجنبها في حياتك الدنيا.

روى أبو داودَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ». [صحيح أبي داود للألباني حديث ٤١١٠].

قال شمس الحق العظيم أبادي: قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ» أي آلة لرؤية محاسن أخيه وعيوبه، لكن بينه وبينه، فإن النصيحة في الملأ فضيحة، وأيضًا هو يرى من أخيه ما لا يراه من نفسه، كما يرسم في المرآة ما هو مختفٍ عن صاحبه فيراه فيها، أي إنما يعلم الشخص عيب نفسه بإعلام أخيه كما يعلم خلل وجهه بالنظر في المرآة. [عون المعبود ج١٣ ص١٧٧، ١٧٨].

(٦) الجليس الصالح خير أنيس لصاحبه في السراء والضراء:

أهل الصلاح والخير هم الذين يستأنسُ بوجودهم المسلمُ في الرخاء، وهم أيضًا خيرُ معين له في الضراء، فهم يخففون عنه همومه ،ويسترشد بآرائهم في حل مشاكله. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليك بإخوان الصدق؛ فعش في أكنافهم، فإنهم زينٌ في الرخاء وعُدةٌ في البلاء. [الإخوان لابن أبي الدنيا ص١١٦].

قال شعبةُ بن الحجاج: خرج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على أصحابه فقال: أنتم جِلاء حزني. [الإخوان لابن أبي الدنيا ص١٥٠].

قال صالح بن موسى: قال رجل لداود الطائي: أوصني: قال: اصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة. [الإخوان لابن أبي الدنيا ص١٢٤].

(٧) محبة مجالسة الصالحين سبيل الجنة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». [البخاري: ٦١٦٨].

وروى عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ. فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ. [البخاري: ٣٦٨٨].

(٨) زيارة الصالحين سبب محبة الله لعباده:

روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ. [مسلم حديث ٢٥٦٧]. قال الإمام النووي (رحمه الله) في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى، وأنها سبب لمحبة الله تعالى للعبد، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب. [مسلم بشرح النووي ٨ / ٣٦٧].

روى مالكٌ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ. [صحيح الجامع للألباني حديث ٤٣٣١]

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَاهَا. [مسلم حديث ٢٥٦٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً. [صحيح الترمذي للألباني حديث ١٦٣٣].

(٩) من بركات مجالسة الصالحين الانتفاع بدعائهم:

روى مسلمٌ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ. [مسلم حديث ٢٧٣٣].

قال الإمام النووي (رحمه الله) في هذا الحديث فضل دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضًا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تُستجاب، ويحصل له مثلها. [مسلم بشرح النووي ٩ / ٥٩].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا.

وَزَادَ عَبَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (أي ابن الزبير) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: تَهَجَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، فَسَمِعَ صَوْتَ عَبَّادٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ؛ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَصَوْتُ عَبَّادٍ هَذَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَّادًا. [البخاري حديث ٢٦٥٥].

قال عبيد الله بن الحسن لرجل: استكثر من الصديق؛ فإن أيسر ما تصيب أن يبلغه موتك فيدعو لك. [الإخوان لابن أبي الدنيا ص١١٣].

(١٠) الجليس الصالح دائمًا يذكر صاحبه بالله تعالى:

الصالحون معتادون على ذكر الله في السراء والضراء، ولذا فإن مجرد رؤيتهم تذكرك بالله تعالى عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الأَنْصَارِيَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ. [مسند أحمد ٤٥ / ٥٧٥ حديث: ٢٧٥٩٩ وحسنه الألباني].

عَنْ أنس بن مالك قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ (أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة)؛ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا. قَالَ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا. [البخاري ٣٦٥٣، ومسلم ٢٣٨١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا؛ فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ. قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ. [البخاري حديث ٤٦٤٢].

(١١) الجليس الصالح يحفظ صاحبه في حضرته وغيبته:

الجليس الصالح يدافع عن صاحبه في السر

والعلانية، ويصون عرضه، ويبعد عنه الشبهات، ويتحمل الأذى من أجله.

أَسَرَ المشركون زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ في غزوة ذات الرجيع، ولما أرادوا قتله قال لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الآنَ فِي مَكَانِكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا. [سيرة ابن هشام ٣ / ١٤٠ - ١٤١].

(١٢) الجليس الصالح يحث صاحبه على أعمال الخير:

الجليس الصالح يذكر صاحبه، دائمًا، ببر الوالدين، والإحسان إلى الفقراء، والأيتام، ويحثه على حُسْن معاملة الجيران، وإكرام الضيف.

كان نبينا ﷺ يحث أصحابه على أعمال الخير.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا. قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي. [البخاري حديث ٥٢٧ / مسلم حديث ٨٥].

(١٣) مجالسة الصالحين تحث أصحابها على التنافس في أعمال الخير:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ (حديقة)، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ. فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. [البخاري ٢٣١٨، ومسلم ٩٩٨].

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا. قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا. [صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٠٢].

(١٤) مجالسة الصالحين ضمان لاستمرار الصحبة المباركة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧- ٦٨].

قال الإمام ابن كثير(رحمه الله) قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ أي: كل صداقة وصُحبة لغير الله؛ فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله، عز وجل، فإنه دائم بدوامه. وهذا كما قال إبراهيم، عليه السلام، لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥]. (تفسير ابن كثير ١٢/ ٣٢٤].

عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ قال: «خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، تُوفي أحد المؤمنين فبُشر بالجنة فذكر خليله فقال: اللهم إن خليلي فلانًا كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، وينبئني أني ملاقيك، فلا تضله بعدي، حتى تريه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني، فيقال له: اذهب فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيرًا وبكيت قليلاً، قال: ثم يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال: ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نعم الأخ ونعم الصاحب، ونعم الخليل، وإذا مات أحد الكافرين فبُشرَ بالنار، فتذكر خليله فيقول: اللهم إن خليلي فلانًا كان يأمرني بمعصيتك، ومعصية رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت عليَّ، قال: ويموت الكافر فيجمع بين أرواحهما ثم يقول: ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه بئس الأخ، وبئس الصاحب، وبئس الخليل.» [تفسير عبد الرزاق ٣ / ١٧٤، وابن أبي حاتم ١٠ / ٣٢٨٥، والطبري ٢٣ / ٧٠٩، وابن كثير ١٢ / ٣٢٥].

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢٤٠٤- عَنْ عبد الرحمن بن أَبْزَى عَنْ أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «كان يَقْرَأُ في الْوِتْرِ بـ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) وَ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) وَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فإذا سَلَّمَ قال: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، يَقُولُهَا ثَلَاثًا». (حم ١٤٩٣١)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٠٥- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي الْفَجْرِ، فَتَرَكَ آيَةً؛ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: «أَفِي الْقَوْمِ أُبَيُّ ابْنُ كَعْبٍ؟» قَالَ أُبَيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُسِخَتْ آيَةُ كَذَا وَكَذَا أَوْ نُسِّيتَهَا؟ قَالَ «نُسِّيتُهَا». (حم ١٤٩٣٠)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٠٦- عَنْ يَعْلَى بن حَكِيمٍ عَنْ أبي لَبِيد قال: كنا مع عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه بِكَابُلَ فَأَصَابَ الناس غَنِيمَةً، فَانْتَهَبُوهَا، فَقَامَ خَطِيبًا فقال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «يَنْهَى عَنْ النُّهْبَى»؛ فَرَدُّوا ما أَخَذُوا فَقَسَمَهُ بَيْنَهُمْ. (د ٢٧٠٣)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٠٧- عَنْ عبد الرحمن بن عَوْفٍ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «ليس على الْمُخْتَلِسِ قَطْعٌ» (جه ٢٥٩٢)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٠٨- عَنْ أبي الْعَلَاءِ عَنْ عُثْمَانَ بن أبي الْعَاصِ رضي الله عنه وَامْرَأَةٍ من قَيْسٍ أنهما سَمِعَا النبي ﷺ قال: أَحَدُهُمَا سَمِعْتُهُ يقول: «اللهم اغفر لي ذنبي وخطئي وعمدي»، وقال: الآخَرُ سَمِعْتُهُ يقول: «اللهم أستهديك لأَرْشَدِ أمري، وَأَعُوذُ بِكَ من شَرِّ نفسي» (حم ١٧٤٤٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٠٩- عَنْ عُثْمَانَ بن أبي الْعَاصِ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ من النَّارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ من الْقِتَالِ»، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «صِيَامٌ حَسَنٌ: صِيَامُ ثلاث أَيَّامٍ من الشَّهْرِ» (حم ١٥٨٤٤)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٠- عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه يقول سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حتى يُفْصَلَ بين الناس، أو قال: يُحْكَمَ بين الناس قال يَزِيدُ: وكان أبو الْخَيْرِ لاَ يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إلا تَصَدَّقَ فيه بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةً أو بَصَلَةً أو كَذَا» (حم ١٦٨٨٢)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١١- عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «لأَنْ أَمْشِيَ على جَمْرَةٍ أو سَيْفٍ أو أَخْصِفَ نَعْلِي بِرِجْلِي أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ أَمْشِيَ على قَبْرِ مُسْلِمٍ، وما أُبَالِي أَوَسْطَ الْقُبُورِ قَضَيْتُ حَاجَتِي أو وَسْطَ السُّوقِ» (جه١٥٦٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٢- عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قال: تَعَلَّقْتُ بِقَدَمِ رسول اللَّهِ ﷺ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ. فقال لي رسول اللَّهِ: ﷺ «يا عُقْبَةُ بن عَامِرٍ إنك لم تَقْرَأْ سُورَةً أَحَبَّ إلى اللَّهِ عز وجل وَلاَ أَبْلَغَ عِنْدَهُ من (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال يَزِيدُ: لم يَكُنْ أبو عِمْرَانَ يَدَعُهَا، وكان لاَ يَزَالُ يقرأها في صَلاَةِ الْمَغْرِبِ» (حم ١٦٩٦٥)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٣- عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «من كان له ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ من جِدَتِهِ؛ كُنَّ له حِجَابًا من النَّارِ يوم الْقِيَامَةِ» (جه ٣٦٦٩)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٤- عَنْ عبد الرحمن بن شِمَاسَةَ أَنَّ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قام في صَلَاةٍ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ فقال: الناس سُبْحَانَ الله، فَعَرَفَ الذي يُرِيدُونَ، فلما أَنْ صلى سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وهو جَالِسٌ ثُمَّ قال: «إِنِّي قد سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ وَهَذِهِ سُنَّةٌ» (ابن أبي شيبة ٤٥٣٢)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٥- عَنْ عُقْبَةَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: بَعَثَ النبي ﷺ سَرِيَّةً فَسَلَحْتُ رَجُلاً منهم سَيْفًا؛ فلما رَجَعَ قال: لو رَأَيْتَ ما لاَمَنَا رسول اللَّهِ ﷺ قال: «أَعَجَزْتُمْ إِذْ بَعَثْتُ رَجُلاً منكُمْ فلم يَمْضِ لأَمْرِي أَنْ تَجْعَلُوا مَكَانَهُ من يَمْضِي لأَمْرِي» (د ٢٦٢٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٦- عَنْ عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يقول في آخِرِ وِتْرِهِ: «اللهم إني أَعُوذُ بِرِضَاكَ من سُخْطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ من عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أنت كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ» (د ١٤٢٧)، جه (١١٧٩)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٧- عَنْ عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مع رسول اللَّه ﷺ حتى إذا كان بِحَرَّةِ السُّقْيَا التي كانت لِسَعْدِ بن أبي وَقَّاص فقال: رسول اللَّه ﷺ ائْتُوني بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قام فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فقال: «اللهم إنَّ إبراهيم كان عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ وَدَعَا لأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ وأنا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لهم في مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَ ما بَارَكْتَ لأَهْلِ مَكَّةَ مع الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ» (ت ٣٩١٤)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٨- عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: صَنَعْتُ طَعَامًا فَدَعَوْتُ النبي ﷺ فَجَاءَ فَدَخَلَ فَرَأَى سِتْرًا فيه تَصَاوِيرُ فَخَرَجَ، وقال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فيه تَصَاوِيرُ» (ن ٥٣٥٣)، وهذا حديث صحيح.

٢٤١٩- عَنْ عبد خَيْرٍ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: «لو كان الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ من أَعْلَاهُ، وقد رأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ على ظَاهِرِ خُفَّيْهِ» (د ١٦٢)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢٠- عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ». (جه٩١٦)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢١- عَنْ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: سمعت عُمَرَ يقول: «والله إني لأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُتْعَةِ، وَإِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَقَدْ فَعَلَهَا رسول اللَّه ﷺ يَعْنِي الْعُمْرَةَ في الْحَجِّ» (ن ٢٧٣٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢٢- عَنْ أبي زَيْدٍ الأنصاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: ادن مِنِّي قال: فَمَسَحَ بيده على رأسه ولِحْيَتِهِ، قال: ثُمَّ قال: «اللهم جَمِّلْهُ وأَدِمْ جَمَالَهُ» قال: فَلَقَدْ بَلَغَ بِضْعًا وَمِائَةَ سَنَةٍ، وما في رَأْسِهِ ولِحْيَتِهِ بَيَاضٌ إلاَّ نَبْذٌ يَسِيرٌ، وَلَقَدْ كان مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ ولم يَنْقَبِضْ وَجْهُهُ حتى مَاتَ. (حم ٢٠٢٠٩)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢٣- عَنْ رِفَاعَةَ بن شَدَّادٍ الْقِتْبَانِيِّ قال: لَوْلَا كَلِمَةٌ سَمِعْتُهَا من عَمْرِو بن الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه لَمَشَيْتُ فيما بين رَأْسِ الْمُخْتَارِ وَجَسَدِهِ سَمِعْتُهُ يقول: قال: رسول اللَّه ﷺ «من أَمَّنَ رَجُلاً على دَمِهِ فَقَتَلَهُ؛ فإنه يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدْرٍ يوم الْقِيَامَةِ» (جه ٢٦٨٨)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢٤- عَبْدُ اللَّهِ بن أبي الْهُذَيْلِ قال: كان نَاسٌ من رَبِيعَةَ عِنْدَ عَمْرِو بن العاص رضي الله عنه فقال رَجُلٌ من بَكْرِ بن وَائِلٍ: لَتَنْتَهِيَنَّ قُرَيْشٌ أو لَيَجْعَلَنَّ الله هذا الأَمْرَ في جُمْهُورٍ من الْعَرَبِ غَيْرِهِمْ؛ فقال عَمْرُو بن العاص: كَذَبْتَ سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «قُرَيْشٌ وُلَاةُ الناس في الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (ت ٢٢٢٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢٥- عَنْ أبي غَادِيَةَ قال: قُتِلَ عَمَّارُ بن يَاسِرٍ رضي الله عنه فَأُخْبِرَ عَمْرُو بن الْعَاصِ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إن قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ في النَّارِ. فَقِيلَ لِعَمْرٍو رضي الله عنه فَإِنَّكَ هو ذَا تُقَاتِلُهُ؟ قال: إنما قال: قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ» (حم ١٧٣٢٢)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢٦- عن عَمْرِو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه قال: صلى بِنَا رسول اللَّه ﷺ إلى بَعِيرٍ من الْمَغْنَمِ؛ فلما سَلَّمَ أَخَذَ وَبَرَةً من جَنْبِ الْبَعِيرِ، ثُمَّ قال: «وَلا يَحِلُّ لي من غَنَائِمِكُمْ مِثْلُ هذا، إلا الْخُمُس، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ فِيكُمْ» (د ٢٧٥٥)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢٧- عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من سمع بِالدَّجَّالِ؛ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ، وهو يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيَتْبَعُهُ؛ مِمَّا يَبْعَثُ به من الشُّبُهَاتِ، أو لِمَا يَبْعَثُ به من الشُّبُهَاتِ، هَكَذَا قال» (حم ١٩٩٨٢) وهذا حديث صحيح

٢٤٢٨- عَنْ عُمَيْرٍ مولى بَنِي أبي اللَّحْمِ رضي الله عنه أَنَّهُ «رَأَى النبي ﷺ يَسْتَسْقِي عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا من الزَّوْرَاءِ قَائِمًا يَدْعُو يَسْتَسْقِي، رَافِعًا يَدَيْهِ قِبَلَ وَجْهِهِ لا يُجَاوِزُ بِهِمَا رَأْسَهُ» (د ١١٦٨)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٢٩- عَنْ عَوْفِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: منها أَهَاوِيلُ من الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ بها ابن آدَمَ، وَمِنْهَا ما يَهُمُّ به الرَّجُلُ في يَقَظَتِهِ فَيَرَاهُ في مَنَامِهِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ من سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا من النُّبُوَّةِ» (جه ٣٩٠٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٣٠- عَنْ أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنْ النبي ﷺ قال: «ما من شَيْءٍ أَثْقَلُ في الْمِيزَانِ من حُسْنِ الْخُلُقِ» (د ٤٧٩٩)، وهذا حديث صحيح.

٢٤٣١- عَنْ أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ من إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ من أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قالوا: بَلَى. قال: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى. فقال: مُعَاذُ بن جَبَلٍ رضي الله عنه: ما شَيْءٌ أَنْجَى من عَذَابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ» (ت ٣٣٧٧)، وهذا حديث صحيح.

من أعمال البر يوم النحر
صلاة العيد والأضحية

إعداد/ سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ يوم أضحى فصلى العيد، ثم أقبل بوجهه، وقال: «إن أول نسكنا في يومنا هذا أن نبدأ بالصلاة، ثم نرجع فننحر، فمن صلى صلاتنا ونسك نسكنا؛ فقد أصاب النُّسُك، ومن نسك قبل الصلاة؛ فإنما هو لحم عجّله لأهله ليس من النسك في شيء».

وفي رواية: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فلا يذبح حتى ينصرف». [البخاري ٩٦٨].

أولاً: صلاة العيد

الأعياد ظاهرة اجتماعية بشرية، تُعبر فيها المجتمعات عن سرورها، والأعياد في كثير من الأمم والشعوب مجال خصب للهو المشين، والعبث المريب، فمظاهر الفرح فيها تداعٍ إلى الشراب إلى المنتديات الماجنة التي تستنزف العقول والأموال.

والإسلام وهو دين الله للإنسانية بأسرها، أقر فكرة الأعياد كظاهرة اجتماعية، فجعل للمسلمين عيدين اثنين؛ ابتهاجًا بالنعمة، وإظهارًا للفرحة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «ما هذان اليومان؟» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ». [أبو داود ١١٣٦ وصححه الألباني].

إن النبي ﷺ لم يرضَ أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها في الجاهلية قبل الإسلام، بل جعل لهم عيدين، شاء الله أن يرتبطا بعبادتين عظيمتين من أهم العبادات في الإسلام وهما:

١- عيد الفطر: بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الصوم في شهر رمضان المعظم.

٢- عيد الأضحى: بعد أن يؤدي الحجاج أهم ركن في عبادة الحج، وهو الوقوف بعرفة؛ حيث يفرحون، ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة في أطهر بقعة وأقدسها، وبهذين العيدين توحدت أعياد العرب وأعياد المسلمين عامة.

في عيد الأضحى يلتقي المسلمون على مائدة الرحمن، فهو لذلك يوم أكل وشرب وتمتع بالطيبات التي أحلها الله وفيه ذكر وتكبير لله تعالى.

أ- التكبير في عيد الأضحى:

يبدأ وقت التكبير في الأضحى من فجر عرفة، ويمتد إلى العصر من آخر أيام التشريق الثلاثة التي تلي يوم العيد، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام، سواء أكان قبل الصلاة أم بعدها، أو في الطريق العام، أو في المجالس الخاصة؛ لأن التكبير هو

الإسلام هو دين الله للإنسانية بأسرها، أقر فكرة الأعياد كظاهرة اجتماعية، فجعل للمسلمين عيدين اثنين؛ ابتهاجًا بالنعمة، وإظهارًا للفرحة

شعار هذه الأيام، ورمز بهجتها وجمالها، وما أروع أن نملأ الكون كله بتكبير الله، وصيغته يعرفها المسلمون جميعًا، وهي كما وردت عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، أو: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. وبذلك يخشع الكون كله، إجلالاً لله عز وجل.

ب- سنن العيد:

يستحب الغسل والطيب، ولبس أجمل الثياب، فقد كان النبي ﷺ يلبس بردة حبرة في كل عيد [معرفة السنن والآثار للبيهقي ٥ / ٢٨٤]، وحبرة: نوع من برود اليمن.

ويسن الأكل يوم الفطر قبل الخروج إلى الصلاة، وتأخير ذلك في عيد الأضحى، حتى يرجع من المصلى، فيأكل من أضحيته.

أداء صلاة العيدين في الخلاء، أي في مكان فضاء، ما لم يكن هناك عذر كمطر ونحوه.

جـ- كيفية صلاة العيد:

من السنة أن تكون الخطبة بعد صلاة العيد، خلافًا للجمعة، والصلاة في ذلك اليوم هي الأمر الأهم، وما سواها من الخطبة والنحر والذكر وغير ذلك من أعمال البر يوم النحر، فبطريق التبع.

وصلاة العيد ليس لها أذان ولا إقامة، وهي تؤدى في الجماعة، ويؤمر الناس بالاجتماع فيها، ويشهدها النساء، حتى الحيض يشهدنها، ويعتزلن الصلاة؛ رغبة في شهود الخير، لا فرق بين البكر والثيب، والشابة والعجوز، غير متبرجات بزينة.

وصلاة العيد ركعتان لا يصلى قبلهما ولا بعدهما، يكبر في الأولى بعد تكبيرة الإحرام سبعًا، وفي الثانية بعد تكبيرة الانتقال خمسًا، يرفع اليدين في كل تكبيرة، يقرأ بعد الفاتحة الأولى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، وفي الثانية: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، أو يقرأ بعد الفاتحة في الأولى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، والثانية: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

ويسن أن يأتي من طريق ويرجع من آخر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى العيد؛ رجع في غير الطريق الذي أخذ فيه. [ابن ماجه ١٣٠١ وصححه الألباني].

وقد ندب الإسلام إلى البر لتكامل مظاهر التكافل الاجتماعي في الأعياد ماديًا وخلقيًا، فسن زكاة الفطر قبل عيد الفطر للفقراء سدًا لعوزهم ودعوة للمشاركة في السرور به.

كما ندب إلى مشاركة الفقراء في الأضحية في عيد الأضحى؛ ليستمتع بفضل الله ونعمه المسلمون جميعًا، حتى لا يكون في مجتمعهم من يعضه ألم الجوع، وبهذا يسود الحب والإيثار، وتصبح الأعياد أعيادًا اجتماعية يشترك في الابتهاج بها الأغنياء والفقراء، فلتتحد أعياد المسلمين؛ لتعم الفرحة الشاملة العالم الإسلامي كله.

ثانيًا: الأضحية

أ- تعريفها: هي ما يُذبح من النعم يوم النحر وأيام التشريق تقربًا إلى الله تعالى، وقد أجمع العلماء على مشروعيتها بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ضحى رسول

الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وكبر ووضع رجله على صفاحهما.[متفق عليه].

ب- فضل الأضحية:

الأضحية شكر لله تعالى على نعمة الحياة، وتخليدٌ لذكرى فداء رب العالمين لإسماعيل عليه السلام.

ج- حكم الأضحية:

اختلفت أقوال أهل العلم في حكم الأضحية بين الوجوب والندب:

الجمهور - ومنهم الشافعية والحنابلة، وأرجح القولين عند مالك وإحدى الروايتين عن أبي يوسف- على أن الأضحية سنة مؤكدة، وهذا قول أبي بكر وعمر وبلال... إلخ.

قال الإمام النووي: ذهب أكثر أهل العلم إلى أنها سنة مؤكدة في حق الموسر.

قال ابن قدامة: أكثر أهل العلم على أنها سنة مؤكدة غير واجبة.

فمن فعلها كان مثابًا، ومن تخلف عنها لا يكون آثمًا.

الأحناف قالوا: إنها واجبة على كل مسلم موسر.

قال الإمام العيني: وتحرير مذهبنا -أي الأحناف- ما قاله صاحب «الهداية»: الأضحية واجبة على كل مسلم حر مقيم موسر في يوم الأضحى عن نفسه وعن ولده الصغار.

ومن أدلة القائلين بالندب حديث أم سلمة مرفوعًا: «من رأى هلال ذي الحجة منكم وأراد أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره».[مسلم ١٩٧٧]، والتعليق بالإرادة ينافي الوجوب، إلى غير ذلك من الأدلة.

ودليل القائلين بالوجوب حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من كان له سعة ولم يضحِّ فلا يقربن مصلانا» [ابن ماجه ٣١٢٣ وحسنه الألباني]. قالوا: مثل هذا الوعيد لا يلتحق بترك غير واجب، ورجح ابن تيمية الوجوب. وقال: أما الأضحية فالأظهر الوجوب.

د- مم تكون الأضحية؟:

الأضحية تكون من الإبل والبقر والغنم؛

«لم يرض النبي ﷺ أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها في الجاهلية قبل الإسلام، بل جعل لهم عيدين، شاء الله أن يرتبطا بعبادتين عظيمتين من أهم العبادات في الإسلام: الصيام والحج»

لقوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

فلا يجزئ في الأضحية إلا الضأن والمعز والبقر والإبل بإجماع، ولكن اختلفوا في الأفضل منها.

فالشافعي: فضّل الإبل، ثم البقر، ثم الكباش.

مالك: وافق الشافعي في الهدي، وقال بعكس ذلك في الأضحية، ففضل الكباش ثم البقر، ثم الإبل؛ لقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، وقال ابن تيمية: الذكر أفضل من الأنثى؛ لأن المقصود الأكل واللحم.

هـ- السن المجزئة:

يجزئ في الأضحية من الأصناف التي ذكرناها الثني، كما أذن النبي ﷺ في الجذعة من الغنم، هذا ومسنة الإبل: ما له خمس سنين، ومن البقر ما له سنتان، ومن المعز: ما له سنة، وجذعة الغنم: ما زادت عن الستة أشهر.

و- تقسيمها:

يستحب أن يأكل ثلثًا، ويتصدق بثلث، ويهدي الثلث، وذلك إذا لم يكن هناك سبب يوجب التفضيل، وإلا فلو كثُر الفقراء؛ لاستحببنا الصدقة بأكثر من الثلث، وكذلك إذا كثُر من يهدي إليه أكثر من الفقراء، وكذلك الأكل، فحيث كان؛ أخذ بالحاجة أو المنفعة.

ز- وقت الذبح:

بداية وقت الذبح بعد صلاة العيد؛ لحديث: «من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد أتم نسكه وأصاب السنة». [متفق عليه]، ولذلك اتفق العلماء على أنه لا يجوز الذبح قبل طلوع الشمس، فالذين يذبحون يوم عرفة أو ليلة العيد لأجل ما يسمونه بالمواسم، أو لكي لا ينشغلوا بالذبح يوم العيد، هؤلاء لم يضحوا.

ويمتد وقت الأضحية إلى غروب الشمس من آخر أيام التشريق، وهو قول الشافعي وجماعة، وذهب غيرهم إلى أن وقت الأضحية يوم النحر ويومان بعده.

ويسن لمن يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده، ويقول: بسم الله، والله أكبر، اللهم هذا عن فلان، ويسمي نفسه أو من أوصاه.

فإن الرسول ﷺ ذبح كبشًا فقال: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن أمتي وعن من لم يضحِّ من أمتي. [أبو داود ٢٨١٢ وصححه الألباني].

ويسن أن يحد شفرته - أي سكينه - ويريح ذبيحته لقوله ﷺ: «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته، وليُرِح ذبيحته». [مسلم ١٩٥٥]. ومن كان لا يحسن الذبح أناب غيره ولو بالأجرة.

ح- ما يجتنبه من أراد الأضحية:

إذا أراد المسلم أن يضحي وظهر هلال ذي الحجة؛ فلا يأخذ شيئًا من شعره أو أظفاره أو جلده حتى يذبح أضحيته، لحديث أم سلمة عند مسلم، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره». وفي رواية: «فلا يمس من شعره ولا بشره شيئًا حتى يضحي».[مسلم ١٩٧٧].

وإذا نوى الأضحية أثناء العشر؛ أمسك عن ذلك من حين نوى، ويجوز لأهل المضحي أن يأخذوا في أيام العشر من شعورهم وأظفارهم وأبشارهم.

قال النووي في حق المضحي: قال سعيد بن المسيب، وربيعة وأحمد وإسحاق وداود، وبعض أصحاب الشافعي: إنه يحرم عليه أخذ شيء من شعره وأظفاره حتى يضحي في وقت الأضحية.

وقال الشافعي وأصحابه: هو مكروه كراهة تنزيه، وقال أبو حنيفة: يكره، واختلفت الرواية عن مالك.

ت- ما لا يجوز أن يضحي به:

قال ابن القيم: وكان من هديه ﷺ اختيار الأضحية، واستحسانها، وسلامتها من العيوب، ونهى أن يُضَحَّى بعضباء الأذن والقرن، أي مقطوعة الأذن ومكسورة القرن، النصف فما زاد.

وأمر أن تُستشرف العين والأذن، أي ينظر إلى سلامتها، وألا يضحى بعوراء ولا مقابلة، وهي التي قطع مقدم أذنها، ولا مدابرة، التي قطع مؤخر أذنها، ولا شرفاء، التي شقت أذنها، ولا خرقاء، التي خرقت أذنها، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ومن تعظيمها استحسانها واستسمانها والمغالاة في أثمانها، قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل: ٩٢].

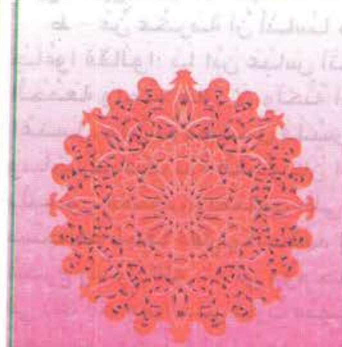
فما كان أحب إلى المرء إذا تقرب به إلى الله تعالى؛ كان أحب إلى الله تعالى، قال بعض السلف: لا يهدي أحدكم لله تعالى ما يستحي أن يهديه لكريمه، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعًا: «لا يُضَحى بالعرجاء بَيِّن ظلعها، ولا بالعوراء بَيِّن عورها، ولا بالمريضة بَيِّن مرضها، ولا بالعجفاء التي لا تنقي».[الترمذي ١٤٩٧ وصححه الألباني].

قال ابن عبد البر: أما العيوب الأربعة المذكورة في هذا الحديث الصحيح فمجمع عليها، لا أعلم خلافًا بين العلماء فيها، ومعلوم أن ما كان في معناها داخل فيها.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه من الأعمال والأقوال، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

باب الفقه



الأغسال المستحبة



إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد بدأنا في الحلقتين السابقتين الحديث عن أحكام الغسل، وتكلمنا عن موجبات الغسل، ثم عن صفة غسل النبي ﷺ، وفي هذه الحلقة نتحدث عن الأغسال المستحبة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١ - غسل الجمعة

وقد آثرت البدء به؛ لأنه آكد الأغسال المستحبة والخلاف فيه قوي جدًا حتى قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «والأمر بالاغتسال يوم الجمعة أمر مؤكد جدًا، ووجوبه أقوى من وجوب الوتر وقراءة البسملة في الصلاة». (زاد المعاد ١ / ٢٠٧) وقد ذهب جمهور الفقهاء من السلف والخلف إلى أن الغسل يوم الجمعة مستحب، وليس بواجب، وذهب أهل الظاهر إلى وجوبه، وهو مذهب بعض الصحابة. (فضائل الجمعة محمد ظاهر أسد الله ص٣٢٩).

وقد استدل من قال بالوجوب بأدلة منها:

أ - حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل» رواه الجماعة، ولمسلم: «إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة فليغتسل» [مسلم ٨٤٤].

ووجه الدلالة من الحديث أمر النبي بالغسل لمن أراد المجيء إلى الجمعة، والأمر يفيد الوجوب.

ب - حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «غسل يوم الجمعة واجبٌ على كل محتلم، والسواك، وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه» [متفق عليه]. قال الشوكاني: «والحديث يدل على وجوب غسل يوم الجمعة؛ للتصريح فيه بلفظ واجب» (نيل الأوطار ١ / ٢٩٣).

ج - حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام

يومًا يغسل فيه رأسه وجسده» [متفق عليه] وقد صرح في بعض الروايات الأخرى أن هذا اليوم هو يوم الجمعة.

واستدل الجمهور بأدلة منها:

أ - حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر: «بينا هو قائم في الخطبة يوم الجمعة؛ إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ فقال: إني شُغلت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين، فلم أزد على أن توضأت. قال: والوضوء أيضًا، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بالغسل؟» [متفق عليه].

قال الإمام الشافعي: فلما لم يترك عثمان الصلاة للغسل، ولم يأمره عمر بالخروج للغسل؛ دلَّ ذلك على أنهما قد علما أن الأمر بالغسل للاختيار.

وعلى هذا الجواب عوَّل أكثر المصنفين في هذه المسألة؛ كابن خزيمة والطبري والطحاوي وابن حبان، وابن عبد البر وهلم جرا، وزاد بعضهم فيه أن من حضر من الصحابة وافقوهما على ذلك؛ فكان إجماعًا منهم على أن الغسل ليس شرطًا في صحة الصلاة، وهو استدلال قوي. (نقلاً عن ابن حجر في الفتح ٢ / ٣٦١).

ب - وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من توضأ للجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فذلك أفضل» [أبو داود ٣٥٤ وحسنه الألباني]، فدل على اشتراك الغسل والوضوء في أصل الفضل وعدم تحتم الغسل، وقد اعتُرض على هذا الحديث بضعفه.

ج - حديث أبي هريرة رضي الله عنه «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع، وأنصت؛ غفر له ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام» [أبو داود ١٠٥٢ وصححه الألباني].

قال القرطبي في تقرير الاستدلال بهذا الحديث على الاستحباب ما لفظه: ذكر الوضوء وما معه مرتبًا عليه الثواب المقتضي للصحة؛ يدل على أن الوضوء كاف. قال ابن حجر في التلخيص عن هذا الحديث: تَنْبِيهٌ: هذا مِنْ أَقْوَى مَا يُسْتَدَلُّ به عَلَى عَدَمِ فرضية الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

د- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الناس يتناوبون الجمعة من منازلهم، ومن العوالي؛ فيأتون في الغباء فيصيبهم الغبار والعرق، فتخرج منهم الريح، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنسان منهم، وهو عندي؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا» [متفق عليه].

قال النووي في لفظه صلى الله عليه وآله وسلم: لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا: يقتضي أنه ليس بواجب؛ لأن تقديره: لكان أفضل وأكمل. (شرح صحيح مسلم ٦ / ١٣٣).

ط - عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ جَاءُوا فَقَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبًا؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنَّهُ أَطْهَرُ وَخَيْرٌ لِمَنِ اغْتَسَلَ، وَمَنْ لَمْ يَغْتَسِلْ فَلَيْسَ عَلَيْهِ بِوَاجِبٍ وَسَأُخْبِرُكُمْ كَيْفَ بَدْءُ الْغُسْلِ كَانَ النَّاسُ مَجْهُودِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ وَيَعْمَلُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ، وَكَانَ مَسْجِدُهُمْ ضَيِّقًا مُقَارِبَ السَّقْفِ، إِنَّمَا هُوَ عَرِيشٌ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ حَارٍّ وَعَرِقَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الصُّوفِ؛ حَتَّى ثَارَتْ مِنْهُمْ رِيَاحٌ آذَى بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمَّا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الرِّيحَ؛ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ هَذَا الْيَوْمُ فَاغْتَسِلُوا وَلْيَمَسَّ أَحَدُكُمْ أَفْضَلَ مَا يَجِدُ مِنْ دُهْنِهِ وَطِيبِهِ».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ وَلَبِسُوا غَيْرَ الصُّوفِ، وَكُفُوا الْعَمَلَ، وَوُسِّعَ مَسْجِدُهُمْ وَذَهَبَ بَعْضُ الَّذِي كَانَ يُؤْذِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْعَرَقِ. [رواه أبو داود وقال الألباني: حسن].

قال الإمام الطحاوي: فهذا ابن عباس رضي الله عنه يخبر أن ذلك الأمر الذي كان من رسول الله ﷺ بالغسل لم يكن للوجوب عليهم، وإنما كان لعلة، ثم ذهبت تلك العلة؛ فذهب الغسل، وهو أحد من روى عن رسول الله ﷺ أنه كان يأمر بالغسل. (شرح معاني الآثار ١ / ١١٦).

وبعد عرض أدلة الفريقين أرى أن رأي الجمهور أقرب إلى الصواب؛ وذلك لحسن دليلهم، وكون إفادة الأدلة في مجموعها - بعد صرف أدلة الوجوب عن ظاهرها - الندب والاستحباب، غير أنه يحسن لي القول بالتفصيل بين من به رائحة كريهة يحتاج إلى إزالتها؛ فيجب عليه وجوبًا مستقلاً غير شرط لصحة الصلاة، وبين من هو مستغنٍ عنه أي لا تكون به رائحة كريهة، فيستحب له الغسل، وبذلك يُجمع بين أدلة الوجوب وأدلة الندب، ويؤخذ في الاعتبار الأدلة التي ورد وجوب الغسل فيها لعلة. (فضائل الجمعة محمد ظاهر أسد الله ص٣٣٧).

٢- الغسل من تغسيل الميت

لقول النبي ﷺ: «من غسَّل ميتًا؛ فليغتسل،

ومن حمله؛ فليتوضأ» رواه الخمسة ولم يذكر ابن ماجه الوضوء [أبو داود (٢ / ٦٢ - ٦٣)، والترمذي (٢ / ١٣٢) وحسنه، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١ / ٥٣)].

وهذا الحديث فيه الأمْرُ، والأمْرُ الأصل فيه الوُجوب، لكن لمَّا كان فيه شيء من الضَّعف لم يَنتهضْ للإلزام به. وهذا مبنيٌّ على قاعدة، وهي: أنَّ النَّهْيَ إذا كان في حديث ضعيف لا يكون للتَّحريم، والأمرُ إذا كان في حديث ضعيف لا يكون للوُجوب؛ لأنَّ الإلزام بالمنْع أو الفعل يحتاج إلى دليل تَبرأُ به الذِّمة لإلزام العباد به، وهذه القاعدة أشار إليها ابنُ مُفلح في «النُّكَت على المحرَّر». (الشرح الممتع للعثيمين ١ / ٢٠٨).

قال الشوكاني: وقال أبو داود: هذا الحديث منسوخ. وذهب مالك وأصحاب الشافعي إلى أنه مستحب، وحملوا الأمر على الندب لحديث «إن ميتكم يموت طاهرًا، فحسبكم أن تغسلوا أيديكم» [الحاكم ١٤٢٦ وصححه على شرط البخاري وحسنه الألباني في أحكام الجنائز ١ / ٥٤]. (نيل الأوطار ١ / ٢٩٧) أخرجه البيهقي وحسنه ابن حجر.

ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نغسِّل الميت فمنا من يغتسل، ومنا من لا يغتسل» [أخرجه الدارقطني (١٩١) والخطيب في تاريخه (٥ / ٤٢٤) وصححه الألباني].

ولحديث عبد الله بن أبي بكر وهو ابن عمرو ابن حزم: «أن أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر الصديق رضي الله عنه غسَّلت أبا بكر حين توفي، ثم خرجت فسألت من حضرها من المهاجرين، فقالت: إن هذا يوم شديد البرد وأنا صائمة، فهل عليَّ من غُسل؟ قالوا: لا». رواه مالك في الموطأ (١ / ٢٢٣). قال الشوكاني: وهو من الأدلة الدالة على استحباب الغسل دون وجوبه، وهو أيضًا من القرائن الصارفة عن الوجوب؛ فإنه يبعد غاية البعد أن يجهل أهل ذلك الجمع الذين هم أعيان المهاجرين والأنصار واجبًا من الواجبات الشرعية، ولعل الحاضرين منهم ذلك الموقف جُلهم وأجلهم؛ لأن موت مثل أبي بكر حادثٌ لا يُظن بأحد من الصحابة الموجودين في المدينة أن يتخلف عنه وهم في ذلك الوقت لم يتفرقوا كما تفرقوا من بعد». (نيل الأوطار ١ / ٢٩٩).

٣- الغسل من مواراة المشرك (أي دفنه)

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما توفي أبي؛ أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن عمك قد توفي. قال: «اذهب فواره» قلت: إنه مات مشركًا؟ قال: «اذهب فواره، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتيني»، ففعلت ثم أتيته، فأمرني أن أغتسل. وزاد سفيان: فاغتسلت ودعا لي. [أخرجه الطيالسي (١ / ١١٣) وصححه الألباني].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: «وكذلك أخرجه أحمد (١ / ٩٧) والنسائي (١ / ٤١) عن شعبة به ببعض اختصار. وقد تابعه سفيان الثوري عن أبي إسحاق. أخرجه أبو داود (٢ / ٧٠) والنسائي أيضًا (١ / ٢٨٢ - ٢٨٣). وهذا إسناد صحيح. وزاد سفيان: فاغتسلت ودعا لي. وله طريق أخرى أخرجه عبد الله بن أحمد في (زوائد المسند) (١ / ١٠٣ - ١٢٩) عن الحسن بن يزيد الأصم قال: سمعت السدي إسماعيل يذكره عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي به، وفيه: فاغتسلت ثم أتيته قال: فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم وسودها. قال: وكان علي رضي الله عنه إذا غسَّل الميت اغتسل. وهذا إسناد حسن». (الثمر المستطاب ١ / ١٤).

٤- غسل العيدين

استحب العلماء الغسل للعيدين، ولم يأتِ في ذلك حديث صحيح مرفوع للنبي قال البزار: لا أحفظ في الاغتسال للعيد حديثًا صحيحًا، وقال في البدر المنير: أحاديث غسل العيدين ضعيفة، وفيه آثار عن الصحابة جيدة عن علي عند الشافعي وعند مالك في الموطأ عن ابن عمر كان يغتسل قبل أن يغدو إلى العيد (نيل الأوطار ١ / ٢٩٧ بتصرف) قال العلامة الألباني رحمه الله: «وأحسن ما يُستدل به على استحباب الاغتسال للعيدين ما رواه البيهقي من طريق الشافعي عن زاذان قال: سأل رجل عليًا رضي الله عنه عن الغسل ؟ قال: اغتسل كل يوم إن شئت، فقال: لا الغسل الذي هو الغسل؟ قال: يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر، ويوم الفطر. وسنده صحيح (إرواء الغليل ١ / ١٧٧).

٥- الغسل للإحرام حتى للنفساء

يسن الغسل للإحرام حتى للنفساء، وهذا مذهب أكثر أهل العلم، وقد قيل: إنه واجب بحقها. قاله الحسن وأهل الظاهر ومنهم ابن حزم. واحتج الجمهور بحديث زيد بن ثابت: «أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجرد لإهلاله واغتسل» [الترمذي ٨٣٠ وصححه الألباني].

والحديث يدل على استحباب الغسل عند الإحرام.

(٦-٧) الغسل لدخول مكة وللوقوف بعرفة

يستحب لمن أراد دخول مكة أن يغتسل. قال ابن المنذر: الاغتسال عند دخول مكة مستحب عند جميع العلماء. (فقه السنة سيد سابق ١ / ٧٢).

قال ابن عمر: إن من السنة أن يغتسل إذا أراد أن يحرم، وإذا أراد أن يدخل مكة. [الثمر المستطاب للألباني ١ / ١٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح، ويغتسل، ثم يدخل مكة نهارًا، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه فعله» [رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم].

ويُندب كذلك الغسل لمن أراد الوقوف بعرفة؛ لما رواه مالك عن نافع: أن ابن عمر كان يغتسل بعرفة يوم عرفة حين يريد أن يروح. (الموطأ: ٤٨٤).

٨- عند تكرار الجماع

يُسن لمن أراد معاودة جماع أهله، سواء كانت زوجة واحدة أو أكثر؛ لحديث أبي رافع أن النبي ﷺ طاف ذات يوم على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه، قال: فقلت: يا رسول الله ألا تجعله غسلاً واحدًا؟ قال: هذا أزكى وأطيب وأطهر» [أبو داود ٢١٩ وحسنه الألباني].

٩- غسل المغمى عليه اذا أفاق

يسن لمن أغمي عليه أن يغتسل؛ لحديث عائشة رضي الله عنها في مرض النبي ﷺ قالت: «ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أصلى الناس؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء؛ فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق قال: أصلى الناس؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فذكرتْ إرساله إلى أبي بكر» [البخاري ٦٨٧، وتمام الحديث متفق عليه].

قال الشوكاني: والحديث له فوائد مبسوطة في شروح الحديث، وقد ساقه المصنف هاهنا للاستدلال به على استحباب الاغتسال للمغمى عليه، وقد فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات، وهو مثقل بالمرض؛ فدل ذلك على تأكد استحبابه. (نيل الأوطار ١ / ٣٠٢).

١٠- غسل المستحاضة لكل صلاة. أو لصلاة الظهر والعصر معًا غسلاً واحدًا وكذا لصلاة المغرب والعشاء؛ إذ تؤخر الأولى إلى وقت الأخرى. وغسلاً واحدًا لصلاة الصبح. فقد ذهب الجمهور إلى استحباب ذلك؛ لما روته عائشة أن سهلة بنت سهيل بن عمرو استُحيضت فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن ذلك؛ فأمرها بالغسل عند كل صلاة؛ فلما جهدها ذلك أمرها أن تجمع بين الظهر والعصر بغسل، والمغرب والعشاء بغسل، والصبح بغسل» [رواه أحمد وأبو داود] وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب عليها الاغتسال لشيء من الصلوات ولا في وقت من الأوقات إلا مرة واحدة في وقت انقطاع حيضها.

قال النووي: وبهذا قال جمهور العلماء من السلف والخلف لما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما أن أم حبيبة بنت جحش استحيضت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاغتسلي ثم صلي»، فكانت تغتسل عند كل صلاة. قال الشافعي رحمه الله تعالى: إنما أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تغتسل وتصلي وليس فيه أنه أمرها أن تغتسل لكل صلاة، قال: ولا أشك إن شاء الله أن غسلها كان تطوعًا غير ما أُمرت به، وذلك واسع لها. وقال النووي: ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أمرها بالغسل إلا مرة واحدة عند انقطاع حيضها وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فاغتسلي» وليس في هذا ما يقتضي تكرار الغسل (المجموع ٢ / ٥٣٦).

قال الشوكاني: وما ذهب إليه الجمهور من عدم وجوب الاغتسال إلا لإدبار الحيضة هو الحق؛ لفقد الدليل الصحيح الذي تقوم به الحجة، لاسيما في مثل هذا التكليف الشاق؛ فإنه لا يكاد يقوم بما دونه في المشقة إلا خُلّص العُبّاد، فكيف بالنساء الناقصات الأديان بصريح الحديث، والتيسير وعدم التنفير من المطالب التي أكثر المختار صلى الله عليه وآله وسلم الإرشاد إليها؛ فالبراءة الأصلية المعتضدة بمثل ما ذُكر لا ينبغي الجزم بالانتقال عنها بما ليس بحجة توجب الانتقال (نيل الأوطار ١ / ٣٠٢).

هذه أهم الأغسال المستحبة التي ذكرها أهل العلم في كتبهم، وهناك أغسال أخرى ذُكرت ولم أجد ما يدل على استحبابها من حديث صحيح أو آثار صحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وأسأل الله أن ينفع بما ذكرناه فهو نعم المولى ونعم النصير.

عصمة الأئمة عند الشيعة (٣)

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

وضحنا في المقال السابق أن آية التطهير لأهل البيت ليست دليلاً على الإمامة والعصمة كما تزعم الشيعة؛ لأن فاطمة الزهراء رضي الله عنها كانت تحت الكساء ولم تثبت لها الإمامة عندهم، وكذا إن تسعةً من أئمة الشيعة لا تشملهم الآية؛ لأنهم لم يكونوا تحت الكساء؛ حيث اختصت الآية بثلاثة منهم فقط، وهم: علي، والحسن، والحسين، رضي الله عنهم؛ فكيف أثبتوا لهم الإمامة والعصمة؟! هذا أولاً.

وثانيًا فقد جاءوا بعبارات باطلة يدَّعون فيها أن الأئمة الاثني عشر معصومون، بل وشركاء في النبوة، ثم غالوا فقالوا: إنهم يتصفون بصفات الإله سبحانه، من ذلك ما رواه صاحب الكافي، في باب اعتقادهم في أصول الدين، أن الأئمة هم أركان الأرض، ولهم حق الطاعة كرسول الله ﷺ، ولعَلِيٍ ما لرسول الله ﷺ من التكاليف والفضل، ثم ما لبثوا أن رفعوا عليًا رضي الله عنه عن مقام رسول الله ﷺ إلى مقام رب العالمين؛ حيث زعموا أن عليًا قال: أُعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي: علمت علم المنايا والبلايا، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني. [راجع أصول الكافي ١ / ١٩٧].

ونقول لهؤلاء من الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؟ ومن الذي يعلم المنايا والبلايا؟! يقول الله جل شأنه: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، ويقول عز وجل: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

والمتتبع لأبواب الكافي يجد من ذلك الكثير، نسبها القوم ظلمًا وبهتانًا لأهل البيت الأطهار الأبرار، وهي لا تخرج عن دعاوى الملحدين والمتنبئين عبر العصور.

ومن أدلة الشيعة العقلية على العصمة قولهم: إن الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسدد خطاها، ولو جاز الخطأ عليه؛ لاحتاج إلى آخر يسدده، فيلزم التسلسل؛ فعندئذ يلزم القول بالعصمة للإمام؛ لأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه، والحقيقة أن العصمة للأمة وليست للإمام؛ وفي ذلك يقول ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة» [الترمذي ٢١٦٧، وصححه الألباني]، فضلاً عن قرآنها وسنة نبيها المحفوظين بحفظ الله تعالى، يقول جل شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فكيف يجوز الخطأ على الأمة مجتمعة بدون إمام معصوم، ولا يجوز الخطأ على إمام واحد من المسلمين؟!! تناقض عجيب وتضارب واضح.

ونسوق للرافضة نصوصًا من كتاب «نهج البلاغة» الذي يُعد من مراجعهم الأصلية لعلهم يعقلون.

١- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: «لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي اشتغالاً في حق لي، ولا التماس إعظام النفس؛ فإنه من اشتغل في الحق أن يقال له أو العدل أن يُعرض عليه؛ كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفُّوا عن مقالة الحق أو مشورة

بعدلٍ، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي». [نهج البلاغة ص٣٣٧].

٢- جاء في «نهج البلاغة» (ص٨٢): «لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي».

فهل اشترط أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في النصوص السابقة العصمة في الإمام؟ وهل ذكر أن كل راية تقوم بخلاف راية المعصوم فهي جاهلية؛ كما تزعم الشيعة، وهل حصر الإمارة في الاثني عشر المعصومين بزعم الشيعة، ويكفر من تولاها غيرهم من خلفاء المسلمين؟!!

إن النصوص السابقة تبين أن عليًا بن أبي طالب- رضي الله عنه - لم يحصر الإمامة في الاثني عشر إمامًا، ولم يقل بعصمتهم، ولم يكفّر من تولاها سواهم، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجرًا، وأجاز الجهاد معه؛ فأين هذا من قول الشيعة: إن الجهاد لا ينعقد إلا بخروج المهدي؛ لأن الإمامة محصورة في الاثني عشر بزعمهم.

ثم أين عصمة الأئمة من دعاء عليّ رضي الله عنه الذي ورد في «نهج البلاغة» ص١٠٤: «اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدتُ فعُدْ عليَّ بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وعدت من نفسي ولم تجد له وفاءً عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالطه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقاط الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللسان».

فأين العصمة في هذا الدعاء أيها العقلاء؟! وفي الدعاء إقرارٌ بالذنب، وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات اللسان، وشهوات الجنان، ومخالطة القلب للسان، إن علماء الشيعة لا شك سيقفون حيارى أمام هذه التساؤلات. [أصول الشيعة الإمامية ٢ / ٩٦٥].

وتبطل دعوى العصمة من أصلها بالمتناقضات التي تحدث من أئمتهم تجاه بعض المواقف والمسائل، فأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف، بل يصدق بعضها بعضًا ويشهد بعضها لبعض، ولذا فإن خلاف الأئمة ناقض للعصمة، بل هو ناقض للإمامة المزعومة.

وإليك أخي نماذج من تناقضات الأئمة:

أ- ذكر القمي والنوبختي أنه بعد قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه، وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن والحسين أيهما مصيب وأيهما مخطئ؟! هل الحسن في تنازله عن الخلافة لمعاوية وموادعته مع كثرة أصحابه، أم صنيع الحسين في خروجه على يزيد وحربه له مع قلة أنصاره ومع كثرة أصحاب يزيد؟!!. [المقالات والفرق للقمي ص٢٥، فرق الشيعة للنوبختي ص٢٥- ٢٦].

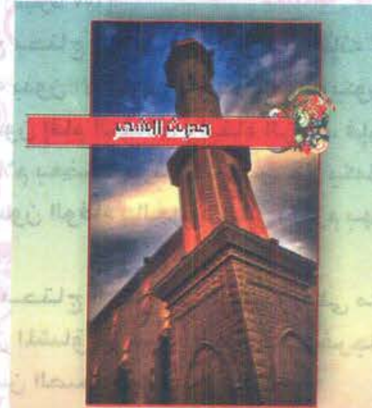
ب- يزعم الشيعة أن الحسين مات عطشانًا؛ حيث يدعون أن الحسين قال لشيعته: «كلما شربتم الماء تذكروني، ولذا فهم يكتبون على ثلاجات المياه (اشرب وتذكر عطش الحسين)؛ فكيف لإمام يعلم الغيب كما يهرفون ألا يأخذ معه ماءً إلى أرض المعركة التي قُتل فيها إن كان يعلم الغيب؟!!».

ج- أين الأئمة المعصومون الذين يعلمون الغيب، ولهم الخوارق حتى بعد موتهم، مما حدث لهم، فالحسين يُقتل، والحسن يتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه - وهم يزعمونه زنديقًا- وزعمهم أن الحسين مات عطشانًا؛ فأين الخوارق وعلم الغيب كما يزعمون؟!!

د- لماذا خالف الحسن أباه عليًا عند خروجه إلى الكوفة؛ فأيهما المصيب وأيهما المخطئ؟ وكلاهما معصوم كما في عقيدة القوم؟ ولماذا خالف الحسنُ الحسين في تنازله لمعاوية عن الخلافة، فأين الصواب إن كانت العصمة لهما سويًا؟!

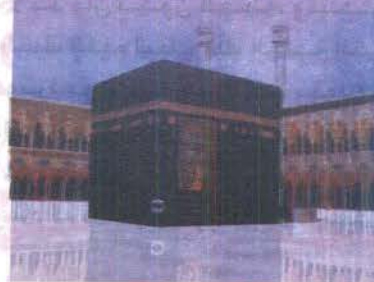
إن هذه التناقضات يقف أمامها القوم عاجزين حيارى، مما دفع بعضهم للانصراف عن ذلك المعتقد المتناقض، كما ذكر ذلك أحد علمائهم الطوسي، فضلاً عن أن العصمة تمنع الخلاف، فأين ذلك من تكفير بعضهم لبعض، وتلاعنهم وتنابذهم؛ لاختلافهم في عدد الأئمة وتعيينهم، وفي الوقوف عند المهدي المزعوم أو المضي إلى إمام آخر.

والله من وراء القصد.



الحج المبرور طريق إلى الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة
www.almarakby.com



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لا شك أن الحج من أفضل الأعمال بعد الإيمان، وأنه لون من ألوان الجهاد في سبيل الله.

روى البخاري في صحيحه بَاب فَضْلِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ. [البخاري ٢٦].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهادَ أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور». وفي رواية: «لَكُنَّ أفضل الجهاد: حج مبرور». [رواه البخاري ١٥٢٠].

وبشر النبي ﷺ من حج واجتنب المحظورات ظاهرًا وباطنًا بغفران ذنوبه فقال «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه». [البخاري ١٨٢٠].

وأخبرنا النبي ﷺ أن الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ. [متفق عليه].

والحج المبرور هو المقبول الذي راعى فيه صاحبه شروط صحة العمل، وشروط قبوله من إخلاص العمل لله تعالى، ومتابعة هدي النبي ﷺ، واجتناب الآثام والأوزار والفسق والرفث.

ومن علامات هذا الحج المبرور أن يرجع الحاج خيراً مما كان، وأن يترك ما كان عليه من التفريط والتقصير والمعاصي، وأن يتبدل بإخوانه البطالين، إخوانًا صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة، مجالس الذكر واليقظة.

والإخلاص من أصعب الأحوال، وأشق الأعمال خاصة إذا كان العمل باديًا ظاهرًا لا يستطيع المرء أن يخفيه كالحج، فالمسلم قد يصوم يومًا في سبيل الله لا يشعر أحد من الناس بصومه، وقد يصلي في جوف الليل في بيته لا يشعر به أحد، ولكنه لا يستطيع أن يحج بيت الله الحرام دون أن يشعر به أحد، ومن هنا كان الجهد المبذول لتحقيق الإخلاص في الحج، وفي سائر الأعمال الظاهرة، مضاعفًا ممن وفّقه الله وهداه، ولهذا كان ديدن الصالحين إظهار الزهد والتقشف في الحج، والتعبد لله عز وجل بالتذلل وإظهار الفاقة لله عز وجل، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه حج على رحل؛ روى البخاري في

صحيحه - بَاب الْحَجِّ عَلَى الرَّحْلِ - عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مَعَهَا أَخَاهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَأَعْمَرَهَا مِنْ التَّنْعِيمِ وَحَمَلَهَا عَلَى قَتَبٍ. وهو رحل صغير على قدر سنام البعير. وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شُدُّوا الرِّحَالَ فِي الْحَجِّ فَإِنَّهُ أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ.

وعَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: حَجَّ أَنَسٌ عَلَى رَحْلٍ وَلَمْ يَكُنْ شَحِيحًا، وَحَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكَانَتْ زَامِلَتَهُ. [البخاري ١٥١٧].

وقوله: ولم يكن شحيحاً إشارة إلى أنه فعل ذلك تواضعًا منه واتباعًا، لا عن قلة، ولا عن بخل.

فأين هذا من الحج الذي تدعو إليه بعض شركات السياحة أو حج الفضائيات، وهو الذي يعرف بحج الخمس نجوم إشارة إلي قمة الترف والدعة والرفاهية.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حج النبي ﷺ على رحل رثّ، وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي، ثم قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة. [ابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦١٧)، مختصر الشمائل (٢٨٨)].

كيف يكون الحج مبرورا؟

ورد البر في النصوص الشرعية بإطلاقين:

أولهما: فعل الطاعات كلها من الإيمان بالله واليوم الآخر، وإعطاء المال للفقراء والمساكين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر على البلاء، كما في قول الله تعالى﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والحاج يحتاج إلى هذه الأمور كلها؛ فإنه لا يصح حجه بدون الإيمان، ولا يكمل حجه ويكون مبرورًا بدون إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن أركان الإسلام بعضها مرتبط ببعض، ولا يكمل بر الحج بدون الوفاء بالعهود التي يلتزم بها المسلم.

وكذلك يحتاج الحاج إلى الصبر على ما يصيبه من المشاق في سفر الحج؛ فلا يخرجه ذلك عن حسن الصحبة والعشرة لرفقائه.

ثانيهما: حسن الخلق، وقد ورد هذا مرفوعًا في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سئل عن البر فقال: (البر حسن الخلق) [مسلم (٢٥٥٣)]، ولا شك أن حسن الخلق من تمام الإيمان وكماله ومن أفضل العمل الصالح الذي يفضي إلى الجنة، فأكمل المؤمنين إيمانًا أحاسنهم أخلاقًا.

وقد سئل النبي ﷺ عن بر الحج فقال: (إطعام الطعام، وطيب الكلام، وإفشاء السلام) [قال الألباني: حسن بمجموع طرقه. انظر السلسلة الصحيحة (١٢٦٤)]. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إن البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين) [أخرجه ابن عساكر (٣١ / ١٧٦) موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما]. وبالجملة فإنه يشمل معاملة الناس بخلق حسن، وهذا يحتاج إليه الناس في الحج كثيرًا حتى قال بعضهم: (إنما سُمي السفر سفرًا؛ لأنه يُسْفِر عن أخلاق الرجال).

جزاء المستجيبين

لقد جعل الله تبارك وتعالى الحج سبيلاً إلى الجنة؛ لأن الحاج يحقق الاستجابة لله تعبدًا ومعتقدًا وسلوكًا وخلقًا، وجزاء المستجيبين لله ولرسوله لا بد وأن يكون الجنة، وشعار الحجيج: «لبيك اللهم لبيك» تلك الكلمة التي يرددونها ويرفعون بها أصواتهم، يقولها الإنسان إذا دعاه من يحب ويعظِّم، فهي كلمة استجابة لمن تحب ومن ترغب وترهب وتعظم إذا دعاك أو ناداك، فتسارع بالإجابة قائلاً: لبيك.

أما إذا دعاك من لا تحب، ومن ليس له في قلبك مكانة فإنك تتثاقل عن إجابة دعائه، وربما تمتنع من إجابته.

وفي رحلة الحج دعانا من له في قلوبنا كل الحب والرغبة والرهبة، دعانا ذو الجلال والإكرام، فسارعنا ولبينا؛ لأنه سبحانه أحب إلينا مما سواه، وهذا من علامة الإيمان كما في الحديث «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار». [متفق عليه].

إن من جزاء المستجيبين أن يكفيهم الله ما أهمهم، وأن يدفع عنهم من السوء ما يخافون وما يحذرون، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤].

وإن من أعظم جزاء المستجيبين الهداية إلى الجنة، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [الرعد:١٨].

إن أعظم ما في الحج أن يعتاد المسلم الاستجابة لله وللرسول عملاً بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

ونماذج الاستجابة في الحج كثيرة: فربنا سبحانه وتعالى دعانا لترك الأوطان، والأهل فاستجبنا، دعانا للطواف بالبيت فاستجبنا، مع أن بيوت الله في الأرض كثيرة، ولكن تركنا كل البيوت قاصدين بيته الحرام.

دعانا لاستلام الحجر وتقبيله أو الإشارة إليه؛ فاستجبنا مع علمنا أنه حجر لا يضر ولا ينفع، ولكن لأن رسول الله استلمه وقبَّله، وأشار إليه ففعلنا اقتداءً به.

دعانا للخروج إلى منى والمبيت بها يوم التروية، فتركنا البيت وتوجهنا إلى منى ملبين مستجيبين.

دعانا للوقوف بعرفة فلبينا، دعانا للمبيت بمزدلفة؛ فلبينا، دعانا لرمي الجمار والمبيت بمنى فلبينا، ثم دعانا للطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة فلبينا واستجبنا.

إن معظم هذه الأعمال لا يستشعر الحاج فيها معنى خاصًا سوى الاستجابة والتلبية لأمر الله عز وجل والاستسلام لحكمه، فهل نحن في سائر أعمالنا ملبون مستجيبون؟

دعانا لتجريد التوحيد ونبذ الشرك فهل نحن ملبون؟

دعانا للحفاظ على الصلوات فهل نحن ملبون مستجيبون؟

دعانا لبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار وحسن العشرة والمعاملة، فهل نحن ملبون مستجيبون؟

دعانا لترك الحرام والفواحش ما ظهر منها وما بطن فهل نحن ملبون مستجيبون؟

إذا استجبت لله عز وجل في كل ما دعاك إليه فقد حققت بر الحج، ورجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك، فهذا هو الحج المبرور الذي جعل الله ثوابه الجنة.

رزقنا الله وإياكم حج بيته الحرام، وأثابنا وإياكم الأجر الجزيل.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الحج المبرور

قال الله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

من هدي رسول الله ﷺ

الحج على سنة النبي ﷺ

عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة وهو على بعيره وهو يقول: يا أيها الناس، خذوا مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه. [مسلم ١٢٩٧].

من آداب الحج وأسباب قبوله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

[متفق عليه].

قوله: «فلم يرفث» قيل الرفث التصريح بذكر الجماع، وقيل: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة.

والفسوق: السباب والجدال والمراء.

من فضل الحج

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ». [متفق عليه].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: "إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة، والماشي بكل خطوة يخطوها سبع مئة حسنة". ضعيف، ضعفه الألباني في الضعيفة برقم (٤٩٦). قلت:... وكيف يكون (الحديث) صحيحًا وقد صح أنه -عليه الصلاة والسلام- حج راكبًا، فلو كان الحج ماشيًا أفضل؛ لاختاره الله لنبيه ﷺ؛ ولذلك ذهب جمهور العلماء إلى أن الحج راكبًا أفضل؛ كما ذكره النووي في شرح مسلم. [حجة النبي للألباني].

من الخير التعجل بالحج

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من أراد الحج فليعجل. وفي رواية قال ﷺ: «تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له». [احمد ٢٨٦٧ وصححه الألباني].

إعداد/ علاء خضر

فضل الصلاة في المسجد الحرام

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه. [ابن ماجه ١٤٠٦ وصححه الألباني].

جهاد النساء

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهادَ أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، ولكن أفضل الجهاد: حج مبرور». وفي رواية: «لَكُنَّ أفضل الجهاد: حج مبرور». [رواه البخاري ١٥٢٠].

دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيد أن النبي ﷺ قال: خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. [الترمذي ٣٥٨٥ وصححه الألباني].

وقت التكبير وأصحه

قال ابن حجر في الفتح: أخرج البيهقي عن أصحاب ابن مسعود أنه يبدأ تكبير العيد من صبح يوم عرفة إلى آخر أيام منى. وأما صيغة التكبير فأصح ما ورد فيه ما أخرجه عبد الرزاق عن سلمان قال: "كبروا الله، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيرًا"، وقيل يكبر ثنتين بعدهما: "لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد"، جاء ذلك عن عمر، وعن ابن مسعود، وقال أحمد وإسحق: وقد أحدث في هذا الزمان زيادة في ذلك لا أصل لها. [فتح الباري].

فضل صيام يوم عرفة!

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ. [مسلم ١١٦٢].

فضل العشر من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ. قَالُوا: وَلاَ الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلاَ الْجِهَادُ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ. [البخاري ٩٦٩].

من سنن العيد

عن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي ﷺ: كَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْعِيدَيْنِ مَاشِيًا وَيُصَلِّي بِغَيْرِ أَذَانٍ، وَلا إِقَامَةٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ مَاشِيًا فِي طَرِيقٍ آخَرَ. [الطبراني في الكبير ٩٣٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٩٣٣].

منبر الحرمين

البركة وأثرها..

الحمد لله الكبير المتعال ذي العزة والجلال.. نحمده في النعماء كما نحمده في البلاء.. إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله.. إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين صاحب المقام المحمود والحوض المورود، عليه من الله أفضل صلاة وأزكى تسليم.. صلاةً وسلامًا دائمين ما تعاقب الجديدان وآله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الوصية المبذولة لي ولكم عباد الله هي تقوى الله سبحانه إذ هي الأنس عند الوحشة، والقوة عند الضعف، والبركة عند المحق والعلم عند الجهل ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

حضارة وتقدم بلا سعادة ولا راحة

أيها الناس.. إننا نعيش في زمن بلغت فيه الحضارة المادية أوجها، بل بلغت مبلغًا لم تبلغه من قبل، ولم يخطر على بال البشر ممن قد غُمر سعةً في الكسب، ورغدًا في العيش ورفاهيةً في الوسائل، وتقدمًا ثائرًا في الضروريات والحاجيات والتحسينات، وتنوعًا في الأسباب الموصلة إليها منقطع النظير..

حياة عجيبة معاصرة تدهش العقول وتبهر العيون.. ما بين غمضة عينٍ وانتباهتها ترى جديدًا في عالم التطور المعيشي والمادي، بيد أن هذه الحضارة وهذا البركان الهائج في المسارات المادية لم تجعل المرء الذي يعايشها أسعد من المرء في أزمانٍ سابقة، ولم تجعله أهنأ من غيره، ولا أكثر أمنًا، ولا أشرح صدرًا مما مضى.

وما ذلكم عباد الله إلا لغياب أمرٍ يُعدُّ غاية في الأهمية.. ليس للحياة معنى بدونه لا في كسبٍ ولا في علمٍ، ولا في طعامٍ ولا في شراب، بل ولا في الحياة برُمّتها.. إذن ما هو هذا الغائب الذي يستحق هذه الإشادة، ويستدعي مادة الإطراء؟

إنه يا عباد الله حلول البركة في ذلكم كله.. البركة عنصرٌ أساسٌ في تمام وجود الإنسان، لا قوام لحياته بدونها؛ إذ ما قيمة كسبٍ لا بركة فيه؟ وما قيمة وقتٍ مُحِقَتْ بركته؟ وما فائدة علمٍ وجوده وعدمه على حد سواء؟ وما نتيجة طعامٍ وشرابٍ لا يسمن ولا يغني من جوع.. لا يطفئ ظمأً ولا يروي غليلاً؟

البركة وأثرها

البركة ليست في وفرة المال، ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد ولا في العلم المادي.. إنها قيمةٌ معنويةٌ لا تُرى بالعين المجردة، ولا تُقاس بالكمّ ولا تحويها الخزائن، بل هي شعورٌ إيجابيٌ يشعر به الإنسان بين جوانحه يثمر عنه صفاء نفسٍ وطمأنينة قلبٍ وانشراح صدرٍ وقناعةٍ ظاهرةٍ ورضا آمن.. وإذا كان أمان المرء في سربه، وتحصيله قوت يومه واستدامة صحته وعافيته.. إذا كان كل ذلك ضالة كل حيٍّ على هذه البسيطة



في الحيـــاة

إعداد/ د . سعود الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

وشجرة يستظل بها الأحياء.. فإن البركة هي ماء هذه الشجرة وغذاؤها وهواؤها وضياؤها.

إن الله جل جلاله قد أودع هذه البركة بفضله خاصيةً خارجةً عن عون المال ومدد الصحة بحيث يمكن أن تحيل الكوخ الصغير إلى قصرٍ رحب، وحين تفقد هذه البركة فسيرى صاحب القصر أن قصره كالقفص أو كالسجن الصغير.. كل ذلك بسبب البركة وجودًا وعدمًا؛ فالقليل يكثر بالبركة، والكثير يقل بفقدانها !

البركة يا عباد الله هي الزيادة والنماء، وهي في الوقت اتساعه وإمكان استغلاله، وفي العمر طوله وحسن العمل فيه، وفي العلم الإحاطة به والعمل بمقتضاه والدعوة إليه، وهي في المال وفرته مع الكفاية منه، وفي الطعام إشباعه، وفي الشراب إرواؤه، وفي الصحة تمامها وسلامتها من الأدواء.. وقولوا عنها مثل ذلكم في شئون الحياة كلها.

المعاناة من قلة البركة

أيها الناس.. غالبية الناس وجمهورهم يعانون قلة البركة في معاشهم العام والخاص.. يرون أنهم في عالم الوفرة وتقريب البعيد وتسهيل الصعب، غير أن الرضا عن الحال خداج غير تمام.. مال يأتي وطعام يؤكل وذرية تولد، لكنها تذهب سبهللا دون بركة؛ فهذا كثيرٌ راتبه ولا بركة فيه.. وهذا كثيرٌ ولده ولا بركة فيهم، وهذا واسع علمٍ ولا بركة فيه ولا نفع.. بل إن ذلكم قد تجاوز حدود الأفراد ليصل إلى المجتمع بمجموعه؛ ففي الحضارة المعاصرة نرى العالم الأول والثاني يقرضان شعوب العالم الثالث أموالاً ثلثها ثمن لسلع هي من صنعهم، والثلث الآخر أجور العاملين والمشرفين من العالم المقرض على هذه السلع، وبقية القرض للنفقات المرتقبة مع ثبوت ضريبة القرض بالنسبة المئوية للمبلغ كله، ثم تمضي السنون والمدين البائس يؤدي أكثر مما اقترض، والقرض باقٍ لم ينقص، أما الدائن المقرض فقد باع سلعه، وأعمل أفراده، وبقي ممسكًا برقبة المدين يلوح له بالخنق بين الحين والآخر.. فأي بركةٍ تراها تلك المجتمعات في واقعها وحالها كالذي يشرب الماء المالح.. كلما شرب منه كلما ازداد عطشا؟!

حلول البركة

عباد الله.. لو رجعنا قليلاً إلى الوراء لوجدنا أمثلةً كثيرة لحلول البركة وتواجدها في عصر النبي ﷺ وعهد أصحابه رضي الله عنهم وعهود من بعدهم إلى زمنٍ ليس عنا ببعيد.. فقد كان النبي ﷺ يجد البركة في الرغيف والرغيفين، وربما شبع هو وأصحابه من صحفةٍ واحدة.. وكان عثمان رضي الله عنه الذي جهّز جيش العسرة قد بلغت ثمرة نخله مائة ألف أو تزيد.. حيث بارك الله له إنفاقه في سبيله، وهذا الزبير بن العوام قد أوصى ولده عبد الله أن يقضي دينه الذي يبلغ ألفي ألف ومائتي ألف– يعني مليونين ومائتي ألف– وقد قال لولده عبد الله: «يا بني.. إن عجزت عنه في شيءٍ فاستعن عليه بمولاي؛

فوالله ما وقعت في كربةٍ من دينٍ إلا قلت: يا مولى الزبير اقضِ عنه دينه، وكان لم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين له، ودارت الأيام وبارك الله في أرض الزبير وبيعت، فبلغت تركة الزبير خمسين ألف ألف ومائتي ألف- يعني خمسين مليونًا ومائتي ألف- وكان له أربع نسوة.. فصار نصيب كل واحدة منهن ألف ألف ومائتي ألف- يعني مليونًا ومائتي ألف- كنصف مقدار الدَّيْن الذي عليه. هذه القصة رواها البخاري في صحيحه.

مصدر البركة

فانظروا- يا رعاكم الله- كيف تكون البركة.. وقد جاء في مسند أحمد: أنه وُجد في خزائن بني أمية حنطة.. الحبة بقدر نواة التمر.. وهي في صرةٍ مكتوب عليها: «هذا كان ينبت في زمن العدل».. فلاحظوا - يا رعاكم الله- كيف رهنت البركة في ذلك الزمن بالقسط والعدل وترك المظالم، ولقد قال أبو داود - صاحب السنن - عن نفسه: «شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرًا، ورأيت أترجة على بعير قطعتين.. قُطعت وصيرت على مثل عدلين».. وذكر معمر بن راشد: «أنه رأى باليمن عنقود عنب حِمْل بغلٍ تام»..

هذه بعض الشذرات - عباد الله - تفيد في أمر البركة عند المتقدمين على هذه الحضارة الهائجة التي تشح فيها البركة لتجعلنا بين زمنين مباركين: زمنٍ سابقٍ لنا، وزمنٍ لاحقٍ بعدنا.. كما في صحيح مسلم من قول النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا كما كانت مروجًا وأنهارًا»، وكما في صحيح مسلم أيضًا: «ما يكون في آخر الزمان من البركات التي تنزل على الناس حتى تستظل الجماعة من الناس تحت قشرة الرمانة لعظم حجمها، وحتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس؛ أي الجماعة الكثيرة».

ألا فاتقوا الله عباد الله، والتمسوا لأنفسكم مواضع البركة في حياتكم وراجعوا أنفسكم باحثين عن أسباب فقدانها، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم..

عوامل تحصيل البركة

أيها الناس.. إن من ينشد البركة في نفسه وماله وشأنه كله، ما عليه إلا أن يلتمس مظان هذه البركة، ويتتبع أسبابها، وإن من استقرأ شريعة المصطفى ﷺ ليجد أن جماع البركة يحصل في الأمور الآتية:

أولاً: أن يتقي المجتمع المسلم ربه، ويؤمن به على ما أراد الله له، وأراد له رسوله ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وثانيها: الشكر على الرزق؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. وقد قال النبي ﷺ: «ما أنزل الله من السماء من بركةٍ إلا أصبح فريقٌ من الناس بها كافرين». رواه مسلم.

وثالثها: الكسب الحلال واجتناب التعامل بالربا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

والنبي ﷺ يقول: «إن هذا المال خضرةٌ حلوة.. من أصابه بحقه بُورك له فيه، ورُبَّ متخوضٍ فيما شاءت به نفسه في مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار» رواه الترمذي.

ورابع هذه الأسباب عباد الله: القصد وعدم

الإسراف المذموم؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].. وكل شيء داخله الشيطان فلا بركة فيه؛ ولذا يقول النبي ﷺ: «أعظم النساء بركةً أيسرهن صداقا». رواه البيهقي والنسائي.

وخامس الأسباب عباد الله: يكون في الصدق؛ فإن الله يبارك في الإنسان الصادق باطنًا وظاهرا، حاكمًا أو عالمًا، أو تاجرًا أو كائنًا من كان.. فإن النبي ﷺ يقول: «البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا.. فإن صدقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحِقتْ بركة بيعهما» رواه البخاري ومسلم.. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله: «أن بركة العالم في صدقه: تبليغه للحق، وعدم كتمانه للعلم، وإن كان حاله بعكس ذلكم؛ فإن الله قد أجرى سنته أن يمحق عليه بركة علمه ودينه ودنياه إذا فعل ذلك».

وسادس الأسباب عباد الله: الدعاء واللجوء إليه؛ فإنه سبب من أسباب البركة كما في قصة الزبير الآنف ذكرها..

وآخر هذه الأسباب عباد الله هي: القناعة المتمكنة من قلب المؤمن، وقد فسر بعض أهل العلم قول الله تعالى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً...﴾ [النحل: ٩٧] قالوا: هي القناعة؛ إذ لم يُعط المرء شيئًا مثل القناعة.

قال أبو حاتم البستي: إن تمكن المرء بالمال القليل مع قلة الهمّ أهنأ من الكثير للتبعة.

يتنافس التجارُ في الإكثار
من درهم في المال أو دينار
لو يُرزقُ التجارُ بعض قناعة
لرأوا بأن الفرقَ في الأصفار

هذا، وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله صاحب الحوض والشفاعة؛ فقد أمركم الله بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال - صلوات الله وسلامه عليه: «من صلى علي صلاة صلّى الله عليه بها عشرًا».

اللهمَ صلِّ وسلِّمْ وزِدْ وبارِكْ على عبدك ورسولك محمدٍ صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر صحابة نبيك محمد - ﷺ - وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك ياأرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين واخذل الشرك والمشركين.. اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.. اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ونفس كرب المكروبين واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يارب العالمين.. اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال ياحي يا قيوم، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

اللهم ما سألناك من خير فاعطنا، وما لم نسألك فابتدئنا، وما قصرت عنه آمالنا من الخيرات فبلغنا.. ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار.. سبحان ربنا رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنفعة للمقرض في ضوء السنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فبعد بيان الصور المختلفة لعقد القرض في معاملاتنا المعاصرة، كما في الحلقة السابقة، نأتي إلى حكم المنفعة للمقرض، فمن المعلوم أن الفائدة المرتبطة بالقرض من ربا الديون الذي حُرِّم بالكتاب والسنة، غير أن هذه الفائدة قد تتخذ شكلاً آخر من أشكال المنافع، فما حكمها عندئذٍ؟

من الأحاديث التي اشتهرت على ألسنة الناس بالأمس واليوم ما رُوي عن الرسول ﷺ أنه قال: «كل قرض جر نفعًا فهو ربا».

وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح، فقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن عليَ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل قرض جر منفعة فهو ربا». وفي إسناده أحد المتروكين، وله شاهد ضعيف عند البيهقي بلفظ: «كل قرض جر منفعة هو وجه من وجوه الربا». [انظر التلخيص الحبير رقم (١٢٢٧)].

ولكن هناك آثار موقوفة صحيحة عن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - قد تأخذ حكم المرفوع.

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

حكم المنفعة للمقرض

ولننظر بعد هذا في حكم المنفعة للمقرض:

قال ابن قدامة في «المغني»: «كل قرض شرط فيه أن يزيده؛ فهو حرام بغير خلاف، قال ابن المنذر: أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستلف زيادة أو هدية؛ فأسلف على ذلك، أن أخذ الزيادة على ذلك ربا، وقد روي عن أبي بن كعب وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم نهوا عن قرض جر منفعة». [٤ / ٣٦٠].

وقال أيضًا بعد هذا: إن شرط أن يؤجره داره بأقل من أجرتها، أو على أن يستأجر دار المقرض بأكثر من أجرتها، أو على أن يهدي له هدية، أو يعمل له عملاً؛ كان أبلغ في التحريم.

وإن فعل ذلك من غير شرط قبل الوفاء؛ لم يقبله، ولم يجز قبوله، إلا أن يكافئه أو يحسبه من دينه، إلا أن يكون جرت العادة به بينهما قبل القرض.

وذكر ابن قدامة من الآثار والأحاديث ما يؤيد هذه الأحكام، ثم قال: «وهذا كله في مدة القرض، فأما بعد الوفاء فهو كالزيادة من غير شرط».

بعد هذا البيان للأحكام المتعلقة بالمنفعة للمقرض، ننظر في كتب السنة، لنرى الأدلة التي أشار إليها ابن قدامة، وغيرها مما لم يشر إليه.

أولاً: روى الإمام البخاري في صحيحه عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: «أتيت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام، فقال: ألا تجيء فأطعمك سويقًا وتمرًا، وتدخل في بيت ؟ ثم قال: إنك في أرض - يقصد العراق - الربا بها فاش، إذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قتّ، فلا تأخذه؛ فإنه ربا».

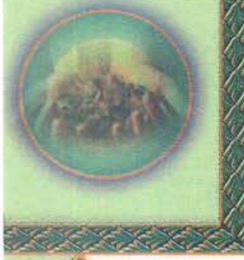
انظر كتاب مناقب الأنصار - باب مناقب عبد الله بن سلام، والأثر رواه عبد الرزاق في المصنف وفيه: يا ابن أخي، إنكم بأرض تجار.. إلخ. راجع: جـ٨ ص: ١٤٤.

وأثر مثل هذا عن أبي بن كعب، وفيه: فخذ قرضك، واردد إليه هديته.

ثانياً: في مصنف عبد الرزاق نجد كثيرًا من الآثار في بابين (باب الرجل يهدي لمن سلّفه)، و(باب قرض جر منفعة).. من هذه الآثار:

١- أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين قال: تسلف أُبي بن كعب من عمر بن الخطاب مالاً - قال: أحسب عشرة آلاف - ثم إن أبيًا أهدى له بعد ذلك من تمرته، وكانت تبكر، وكان من أطيب أهل المدينة تمرة، فردها عليه عمر، فقال أُبي: ابعث بمالك، فلا حاجة لي في شيء منعك طيب تمرتي، فقبلها، وقال: إنما الربا على من أراد أن يربي وينسئ.

(٨ / ١٤٢، وفي الصفحة نفسها تجد رواية ثانية لهذا الأثر، ولاحظ أن القرض عشرة آلاف، وليس لفقير محتاج. والأثر أخرجه أيضًا البيهقي - انظر الحاشية للشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، وكنز العمال ٦ / ١٢٨ حديث رقم ٩٦٧).



٢- أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن منصور والأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: إذا نزلت على رجل لك عليه دَيْن، فأكلت عليه، فاحسب له ما أكلت عنده، إلا أن إبراهيم كان يقول: إلا أن يكون معروفًا كانا يتعاطيانه قبل ذلك. (٨ / ١٤٢-١٤٣).

٣- أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عكرمة عن ابن عباس قال: إذا أسلفت رجلاً سلفًا فلا تقبل منه هدية كراع، ولا عارية ركوب دابة. (٨ / ١٤٣).

٤- أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: إنه كان لي جار سماك فأقرضته خمسين درهمًا، وكان يبعث إليَّ من سمكه، فقال ابن عباس: حاسبه، فإن كان فضلاً فَرُدّ عليه، وإن كان كفافًا فقاصصه. (٨ / ١٤٣ - والأثر أخرجه أيضًا البيهقي).

ومثل هذا الأثر عن ابن عباس كذلك في المطالب العالية ١ / ٤٢٨، رقم ١٤٢٤، وهو عن أبي صالح، قال: كان لي على علج عشرون درهمًا، فأهدى إليَّ هدية، فسألت ابن عباس، فقال: احسب من الهدية، وخذ البقية.

٥- أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، قال: كل قرض جر منفعة فهو مكروه. قال معمر: وقاله قتادة. (٨ / ١٤٥) وكلمة مكروه عند السلف تُطلق على المحرم.

٦- أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر وابن عيينة، عن أيوب، عن ابن سيرين قال: استقرض رجل من رجل خمسمائة دينار على أن يفقره ظهر فرسه، فقال ابن مسعود: ما أصبتَ من ظهر فرسه فهو ربا. (٨ / ١٤٥) والأثر رواه البيهقي بطرق مختلفة.

هذا بعض ما جاء في كتب السنة،



وأعتقد أننا لسنا في حاجة إلى البحث عن المزيد من الأدلة، ففي هذا القدر غنًى وكفاية لمن أراد أن يتثبت من صحة ما ذهب إليه أئمتنا الفقهاء المجتهدون، ولمن أراد أن يستبرئ لدينه وعرضه.

حكم فوائد القروض

أحب أن أثبت هنا الفتوى التاريخية التي أصدرها بالإجماع المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، ونص هذه الفتوى هو كما يأتي:

«الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم؛ لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة بتحريم النوعين، وكثير الربا في ذلك وقليله حرام.

والإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة، والاقتراض بالربا حرام كذلك، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة، وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته.

وإن أعمال البنوك في الحسابات الجارية، وصرف الشيكات، وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل، كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة، وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا.

وإن الحسابات ذات الأجل، وفتح الاعتماد بفائدة، وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة، كلها من المعاملات الربوية، وهي محرمة». اهـ

هذه الفتوى كان لها أعظم الأثر، وأفضل النتائج، وقد كانت - ولا تزال - سندًا قويًا لكل باحث متعمق لا يخدعه السراب، ولا يُخْضِعُ الإسلامَ لواقع الناس، بل يحاول تغيير واقعهم ليتفق مع الإسلام.

وقد عقدت مؤتمرات أخرى انتهت إلى مثل هذه الفتوى، ولم نجد فتوى جماعية تخالف هذه الفتوى التي تُعد نقطة تحول مشرقة في مسار فكرنا الاقتصادي الحديث، وإن كنا لا نزال نجد من يتجرأ على الإفتاء، ويخرج على ما يشبه الإجماع، بل على الإجماع نفسه.

نريد أن تطبّق هذه الفتوى على كل أنواع القروض بلا استثناء حتى لا نقع في تناقض، فجميع صور القروض التي ذكرتها من قبل فوائدها من الربا المحرم لا محالة، لا فرق بين صورة وأخرى.

والذين فرّقوا بينها، فحرّموا فوائد شكل من أشكال القروض المعاصرة، وأحلوا فوائد شكل آخر؛ وقعوا في تناقض.

بيان لشيء من التناقض

ونذكر على سبيل المثال ما يبين شيئًا من هذا التناقض:

شهادات استثمار البنك الأهلي المصري المجموعة (أ) تشمل الشهادات ذات القيمة المتزايدة؛ حيث يبقى القرض عشر سنوات لدى البنك، ثم يسترده صاحبه مع الزيادة المحددة التي أعلن عنها البنك، أي أنه يسترد القرض مع ربا عشر سنوات كاملة، ولذلك يتضاعف ليصل حاليًا إلى ٥٣٥٪، أي إن الربا هنا أصبح أضعافًا مضاعفة.

ولما كان هذا القرض للاستثمار، فهو إذن قرض إنتاجي ربوي، وهو ما شاع في الجاهلية، وأشرنا إلى الفرق بينه وبين المضاربة التي شرعها الإسلام للاستثمار إلى جانب طرق الاستثمار الأخرى المشروعة.

والمجموعة (ب) من هذه الشهادات هي ذات العائد الجاري، لها فائدة سنوية حُددت فيما سبق بمقدار ١٦٪، وتُصرف الفائدة كل ستة أشهر.

ومعنى هذا أن رأس المال - أي القرض - يبقى كما هو، وتُصرف الزيادة الربوية كل ستة أشهر، وهذا شبيه بنوع من الربا كان فاشيًا في الجاهلية، وعرفه الإغريق

والرومان، وهو تقسيم الربا، وجَعْله أقساطًا شهرية.

فلننظر إلى هاتين المجموعتين من شهادات الاستثمار، ونقارن بينها وبين صورتين من صور ودائع البنوك، وهما:

شهادات ادخار بنك مصر الدولي: شهادة ذات فوائد مركبة، ومدتها ثلاث سنوات، وشهادات ذات عائد دوري يُصرف بتوقيت نصف سنوي.

فإذا قلنا بأن فوائد الودائع ذات الأجل من الربا المحرم، وجاء من يقول بأن فوائد شهادات الاستثمار حلال وليست من الربا المحرم، سألناه:

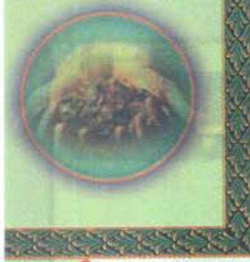
ما الفرق بين المجموع (أ) وشهادات ادخار بنك مصر الدولي ذات الفوائد المركبة؟ أليست الأولى تُعطي فوائد مركبة لعشر سنوات، والأخرى تعطي فوائد مركبة أيضًا، ولكن لثلاث سنوات؟

أيمكن أن نقول: هذه حلال وتلك حرام؟

وما الفرق بين المجموعة (ب) وشهادات ادخار بنك مصر الدولي ذات العائد الدوري؟ أليست الاثنتان لهما فائدة محددة وتُصرف كل ستة أشهر؟ أيوجد أي فرق بينهما؟

بل ما الفرق بين هذه الشهادات وباقي الأوعية الادخارية للبنك الأهلي المصري نفسه؟

إن البنك الأهلي المصري - كسائر البنوك الربوية - يتاجر في الديون بالربا، ويتضح هذا عند الاطلاع على الأعمال التي يقوم بها، ولسنا في حاجة إلى الحديث عن أعماله، فما يُقال عن البنوك الربوية ينطبق عليه، وكل أوعيته الادخارية سواء، فهي توضح مجال نشاطه، فكيف نفرّق بين متماثلين؟ وكيف نُحِل قرضًا ربويًا؛ لأنه خالف غيره في الاسم والشكل لا الجوهر والواقع؟ وأضرب مثلاً بإعلان للبنك الأهلي عن أحد أوعيته



الادخارية، لنرى عمق التناقض الذي يقع فيه بعض الناس عند التفرقة بين فائدة وعاء، وفائدة وعاء آخر.

فشهادات البنك الأهلي المصري ذات الإيراد بالجنيه المصري، تعطي عائدًا يُصرف كل ثلاثة أشهر، يصل إلى ٥٧,٥٪ من قيمة الشهادة خلال خمس سنوات.

ومن هذا الإعلان نجد أن البنك يطلب قرضًا ربويًا مضمونًا، غير أنه أسماه شهادات البنك الأهلي المصري، وهذا القرض مدته خمس سنوات، والزيادة الربوية في مقابل هذه المدة قدرها ٥٧,٥٪ من قيمة الشهادة، أي القرض، وتُقسط هذه الزيادة على أقساط تُدفع كل ثلاثة أشهر، وسُميت هذه الزيادة الربوية عائدًا.

والفرق بين هذه الشهادات والنوع الذي شاع في الجاهلية، وعند الرومان والإغريق، أن المدة هنا خمس سنوات بدلاً من سنة، وأن الأقساط الربوية صارت كل ثلاثة أشهر بدلاً من الأقساط الشهرية.

فهل تغير جوهر القرض الربوي؟

ويكشف البنك هنا عن حقيقته كتاجر ديون مُرابٍ؛ حيث يعلن عن إمكان الإقراض بضمان هذه الشهادات في حدود ٩٠٪ من قيمتها، وبالطبع عندما يقرض البنك فإنما يقرض بزيادة ربوية أكبر، ومن هنا ندرك لماذا كان الإقراض في حدود تسعين في المائة فقط من قيمة الشهادات، وهكذا يقوم البنك بوظيفته الربوية مستغلاً أموال هذه الشهادات، وغيرها مثل شهادات الاستثمار والودائع.

فليتق الله أولئك الذين يحلون شهادات الاستثمار، ولنطالب جميعًا بأن يتحول الاستثمار من ربا الجاهلية إلى منهج الإسلام العظيم.

والحمد لله رب العالمين.

عام آخر تساقط من عمرك





إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإذا كان تتابعُ النعم، وترادف المنن، وتعاقب الآلاء، فيضًا من الرب الكريم لا يغيض، وغيثًا مدرارًا لا ينقطع، كما قال عز من قائل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فإن من هذا الفيض نعمتين يُغبن فيهما كثير من الناس، جاء ذكرهما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ» [البخاري ٦٤١٢].

وقد قالوا قديمًا: الوقت كالسيف؛ إن لم تقطعه قطعك.

فكم ممن متَّعه الله بسمعه وبصره وقوته، وحفظ عليه نضرة الشباب ورونقه وبهاءه، مغبونٌ في صحته حين لا يستعملها فيما يبلّغه رضوان ربه الأعلى ونزول دار كرامته، وحين لا يستثمرها في كل ما يسعد به في دنياه وآخرته، وحين ينسى أن كل نعيم إلى زوال.

وكم من صحيح لا يشكو من علة في نفسه أو جسمه نزلت به السِّقامُ، ووهنته الأمراض، وأقضت مضجعه العلل، فسعت به إلى شيخوخة مبكرة، وعلة مستحكمة، أو داء حال بينه وبين ما يشتهي من مُتَع الحياة الأثيرة لديه، والمذللة المبذولة بين يديه، فإن كان ممن أبلى شبابه، وأفنى عمره، واستنفد قوته فيما يحرم من الشهوات والنزوات، وما

يُحقر من الأعمال وما يُستقبح من الغايات، ولم يبتغ إلى ربه الوسيلة بما يرضيه، ولم يدخر عنده سبحانه من الرصيد ما يسعد به حين يلقاه؛ غُبنَ هنالك غبنًا أورثه حسرة، وأعقبه ندامة لا نظير لها؛ لتفويته الفرصة، وإضاعته المغنم، وتبديده الأرباح.

والفراغ أيضًا نعمة أنعم الله به على عباده، وهو خلو الوقت من الشواغل، وفراغ القلب من كل ما يتنغص به العيش، وتتكدر به الحياة، فإذا امتنّ الله على عبده بذلك؛ فلم يقطع وقته وسويعات عمره مؤديًا شكر هذه النعمة بإنفاقها فيما يصلح به شأنه، ويعلو به قدره، ويكثر به خيره، ويسعد به مجتمعه، وتقوى به أمته، بل كان ممن يصرف وقته، ويقطع زمانه لهوًا ولعبًا وعبثًا ومجونًا وإسفافًا وتعلقًا بالأدنى ورضًا بالخسيس، وركونًا إلى القبيح من القول والعمل، فأضاع الوقت الثمين والزمان الشريف سُدًى؛ غُبنَ هنالك غبنًا فاحشًا لا مجال لرفعه والخلاص من آثاره.

ولذا جاء التوجيه النبوي الكريم باغتنام فُرص العمر التي هيَّأها الله، ومنَّ بها على عباده، وتوجيهها الوجهة التي أرادها الله لها، وذلك في الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الإيمان بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك». [الحاكم ٧٨٤٦ والبيهقي وصححه الألباني]

ألا وإن من أجمل سُبُل اغتنام نعمة الفراغ، وأعظمها نجاحًا وتوفيقًا: ما اعتاد سلوكه أولو الألباب من الدراسة والتحصيل العلمي في مختلف ضروبه، وما صحب ذلك من جَهْد، وما أدرك النفوس فيه من عناء الكدّ والطلب. [كنز العمال: ٨٤١١].

التعامل مع الوقت

في الوقت الذي طُلب فيه من المسلم ألا يضيع وقته سُدًى، طُلب منه أيضًا ألا يرهق نفسه بالشغل الدءوب. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام؛ كراهة السآمة علينا» [متفق عليه]، وفي رواية: «كان يتخولنا أن نتحول من حالة إلى حالة»؛ لأن السآمة والملل يفضيان إلى النفور والضجر، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن القلوب تمل كما تمل الأبدان؛ فابتغوا لها طرائف الحكم». [كنز العمال٨٤١١].

ويقول أيضًا: «روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا أكره عَمِي» [كنز العمال: ١٧٠٣]. ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «إني لأستجم قلبي باللهو المباح؛ ليكون أنشط لي على الحق». [كنز العمال: ٨٤٢٠].

وهذا إمامهم وقدوتهم رسول الله ﷺ يقول: «يا حنظلة؛ ساعة وساعة». [مسلم ٢٧٥٠]، وربنا تبارك وتعالى يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.. الآية.

وبعد قراءة أحوالهم واستقراء سيَرهم يحدد لنا سلف الأمة ضوابط اللهو المباح والترويح، ها هم يروّحون عن أنفسهم فلا يتجاوز أحدهم حدود الشرع المطهر، بعيدًا عن المحرمات والمكروهات، لم يكن ترويحهم هدفًا لذاته بل كان وسيلة لتجديد الهمة مع تصحيح النية لعمل أفضل وإنتاج أكمل؛ لذا لم يكن ترويحهم لمجرد تسلية الأوقات وتضييعها، وإمضاء الساعات دون مردود يقوّي الجسم وينمّي العقل.

كان الصحابة يروحون عن أنفسهم بالمرح والمزاح والتسلية، ولا يقصرون في شيء من حق الله تعالى، وإذا جَدَّ الجدُّ كانوا هم الرجال كما ثبت من فعلهم أنهم كانوا يتبادحون - أي يترامون - بالبطيخ؛ فإذا جد الجد كانوا هم الرجال، وكما قال الأوزاعي عن بلال بن سعد: «أدركت أقوامًا يشتدون بين الأغراض يضحك بعضهم إلى بعض؛ فإذا كان الليل كانوا رهبانًا» [الزهد لابن المبارك: ١ / ٤٧]، وهكذا كانوا - رضي الله عنهم -، كما قال ابن تيمية - رحمه الله: فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل.

فترويحهم وضحكهم وسمرهم وسفرهم وترفيههم لا يضعف إيمانهم، ولا يفسد أخلاقهم، ولا يتعدى وقتُ الترويح على أوقات الصلاة وذكر الله، وصلة الرحم، وقراءة القرآن، أولئك هم الرجال: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

كانوا يروحون عن أنفسهم بعيدًا عن سهر في ليل طويل، وسمر فارغ هزيل، يُخلّ بحقوق كثيرة، ومنها حق الجسم، وحق الأهل، وفوق كل ذلك حق الله تبارك وتعالى.

إذا قرأنا سيرهم وتاريخهم؛ نرى عدم الإفراط في استهلاك المباح؛ لعلمهم بأن المهمة الكبرى للإنسان هي عبادة الله؛ ولأن الوقت ثمين، ومن منهج الإسلام عدم الإفراط في كل شيء حتى ولو كان في الصوم والصلاة والجهاد؛ فكيف باللهو والترويح، كل ذلك حتى لا تُضيع الحقوق الأخرى، وفي هذا يقول ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا». [البخاري ١٩٧٥].

فالصيد مثلاً مباح في الأصل، وقد يُفرط فيه البعض فيهدر أوقاته، ويهلك أيامه، يتتبعه من مكان إلى مكان، مطاردًا باحثًا، ولاهثًا غافلاً، هنا نهى الإسلام عن هذا الإفراط؛ حفاظًا على وقت المسلم الغالي، ليكون في طاعة مديدة، ومتوازنًا لأداء حقوق كثيرة، فقال ﷺ: «من بدا جفا، ومن اتبع الصيد غفل». [أبو داود ٢٨٦١ وصححه الألباني]، هذا فيمن يفرط في اللهو المباح، فكيف بمن يفرّط ويصرف أوقاته الثمينة وساعات عمره في أنماط ترويحية محرمة ينتهك محارم الله ويتجاوز نواهيه؟!!

كيف بمن يقدّم حضور حفل، أو وليمة، أو فرح، أو مباراة لعب، على فريضة من فرائض الله؟!

كيف بمن يلهو ويمزح، ويضحك ويمرح، بالسخرية من أحكام الله، أو الاستهزاء بعباد الله، يتهكم بأعراضهم ويسخر من أحوالهم؟!

سهرٌ وعبثٌ ونوم عن صلاة الفجر أو الظهر والعصر؛ هكذا يقضي بعضهم أيامه.. أليس هذا نكرانًا لنعم الله، وجريمة تنذر بالشؤم وتوجب سخط الإله؟!

كان رسول الله ﷺ يداعب أصحابه حتى تعجّب الصحابة من مداعبته لهم، وقالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا؟! قال: «إني لا أقول إلا حقًا». [الترمذي ١٩٩٠ وصححه الألباني].

الأوقات نعمة، وقد تكون نقمة إذا لم تُستثمر في ترويح مباح، ولهو بريء، وعمل مفيد، يستغرق الصباح والمساء، فإن هذا الفراغ الرهيب يعد مشكلة تقلق كل أب لبيب، وهل فساد الأبناء إلا من الفراغ؟!!

فهو كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل». فكم سهرة عابرة أسقطت فتًى في أتون المسكرات والمخدرات، وجلسة عاصفة وقع البريء فيها في المهلكات!

الفراغ جرثومة فساد تنتشر وتستفحل في مجتمعات الشباب؛ فتحطم الجسد، وتقتل الروح، الفراغ لص خبيث وقاطع عابث، وسارق مخرب، أفسد أناسًا، ودمر قلوبًا وسبب ضياعًا، وقد نبه النبي ﷺ إلى غفلة الكثيرين عما وُهبوا من نعمة الوقت والعافية فقال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ». [البخاري ٦٤١٢].

قال ابن بطال: «كثير من الناس» أي أن الذي يُوفَّق لذلك قليل.

بكيت على الشباب بدمع عيني
فلم يغن البكاء ولا النحيب
فيا أسفًا أسفت على شباب
نعاه الشيب والرأس الخضيب
عريت من الشباب وكنت غضًا
كما يعرى من الورق القضيب
فيا ليت الشباب يعود يومًا
فأخبره بما فعل المشيب

احذر التسويف وطول الأمل

أخي المسلم: قد تقول: وما الذي يجعلني أنتظر حتى أصل إلى هذا الحد من الضعف والوهن، إني سأتوب قبل ذلك الوقت، ربما في الأربعين أو بعد ذلك بقليل، وهي سن يكون الإنسان فيها متمتعًا بكامل صحته وقواه، وحينئذٍ أجمع بين الأمرين: متعة الشباب، وعبادة الله بعد ذلك، والله تعالى غفور رحيم، يتوب على العبد متى تاب، ولو في الخمسين من عمره أو الستين أو السبعين ما لم يغرغر غرغرة الموت.

ولبيان زيف هذا التصور نقول: من يضمن لك أن تصل إلى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين؟ بل من يضمن لك البقاء إلى غد؟ بل من يضمن لك أن تقوم من مقامك؟ أما تعلم أن الموت يأتي بغتة؟ وأنه ينزل بالشباب كما ينزل بغيرهم؟

أما رأيت كثيرًا من أقرانك أخذهم الموت فأصبحوا من سكان القبور؟ هل تمكن هؤلاء من التوبة؟ وهل تمتعوا بالمهلة؟ وهل استفادوا في قبورهم من تضييع الأوقات في الملاهي والمنكرات؟ وهل وصلوا السن التي تريد أن تصل إليها ثم تتوب بعدها؟ فلماذا تؤمل البقاء في هذه الدار، وطريقك محفوف بالمكاره والأخطار؟ ولماذا التسويف والغفلة؟ وأنت تعلم أن الموت يأتي بغتة ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال ابن الجوزي: يجب على من لا يدري متى

يبغته الموت أن يكون مستعدًا، ولا يغتر بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت من الشباب، ولهذا يندر من يكبر. وقد أنشدوا:

يُعمر واحدٌ فيغُر قومًا
ويُنسى من يموتُ من الشباب

ومن الاغترار: طول الأمل، وما من آفة أعظم منه، فإنه لولا طول الأمل؛ ما وقع إهمال أصلاً، وإنما تُقدَّم المعاصي وتُؤخر التوبة لطول الأمل وتبادر الشهوات.

تؤمل في الدنيا قليلاً ولا تدري
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات بغير علة!
وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

التغلب على الفراغ بتنظيم الوقت

حين كان الوعيُ ساميًا، والغاياتُ عالية، كانت المشاغلُ متراكمة، والأعمالُ متزايدة، لدى أسلافنا الأوائل. فكمْ من المدائن فُتحت؟ وكم من الكتبِ والمؤلفات صُنفت؟ وكم من المخترعات والمبتكرات ابتُدعت؟! وكم من الإنجازات تحققت؟!

هذا أبو هريرة رضي الله عنه لزم رسول الله ﷺ على شبع بطنه، وربما صُرع بين الحجرة والمنبر من الجوع، لكن انظروا كم حقق للأمة من خيرٍ عظيمٍ.. ونفع عميم؟!

أحمدُ بن حنبل رحمه الله طافتْ به همته الدنيا من أجل الحديث، فحفظ أكثر من ألفِ ألفِ حديث، أي مليون حديث، فترك لنا المسند، وترك العلم للعالم.

والبخاري رحمه الله ألف كتاب الصحيح، وحفظ تواريخ الرواة وأكثر الشيوخ، وكان يطوف البلاد الإسلامية ذاهبًا وآيبًا، وليس همه إلا الحديث، فبلَّغه الله ما أراد.

وألَّف ابنُ عقيلٍ الحنبلي في أوقات فراغه كتاب الفنون في سبعمائة مجلد!

وابن حجر يؤلف كتاب فتح الباري فيعجز كثير من العلماء عن مجرد قراءته.

وقُسمت كتب ابن جرير الطبري على عدد أيام عمره؛ فصار لكل يوم كراسة من التأليف.

وابنُ الجوزي يؤلف أكثر من ألف مصنف!

ومن العلماء من وزع ليلهُ أثلاثًا: ثلثًا لنومه، وثلثًا لتهجده، وثلثًا لمذاكرة العلم.

وحتى لا يقول قائل: هؤلاء لم يدركوا ما نحن عليه الآن من زمن انفتحت فيه الشهوات، واتسعتْ فيه دائرة الملذات والملهيات، نقول: هذا شيخنا العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى، ومن منا لا يعرف هذه الشخصية الفذة في تنظيم وقتها، وترتيب زمانها، فها هو قد وضع برنامجًا لنفسه، فهو يخصصُ ليلة في الشهر للخطباء وليلة للقضاة، وليلة لمشرفي تحفيظ القرآن الكريم، وليلة لطلبة العلم، وليلة لأهل الحسبة، ولقاءً أسبوعيًا للعامة في منزله، ولقاءً شهريًا في مسجده، وجانبٌ آخر، تنظيمه لدروسه، فلكل درس وقته المحدد لا يتجاوزه، وأصبح صوتُ الساعة مؤذنًا بانتهاء الدرس لدرس آخر وهكذا، وتخصيصه للإفتاء على الهاتف بعد الظهر، ومن منا لم يسمع صوت الشيخ وهو يوضح ذلك؟!

ولا يعني هذا أنه نسي الجانب الإيماني لنفسه، فهو رحمه الله لا يسمحُ لأحد أن يستفتيه أو يحدثه بعد الصلاة حتى ينتهي من ورده وذكره، وقد خصص سيره إلى مسجده لمراجعة القرآن الكريم، ولا يأذنُ لأحد بالحديث معه، بل أحيانًا يقفُ عند بوابة المسجد من أجل أن يُتم حزبه الذي خصصه !! رحمه الله رحمة واسعة.

هكذا كانت أحوالهم.. يوم ارتفعت اهتماماتهم، وهكذا كانت إنجازاتهم، يوم اتسعت مداركهم، ونضجت عقولهم وأفكارهم.

إننا مطالبون بالسير على ما ساروا عليه، وأن نقتفي أثرهم، ونحذو حذوهم، لنصل إلى القمة الشماء، والمرتبة العليا، والأهداف العظيمة.

لكن لا بد أن تكون الأهدافُ شرعية، والغاياتُ نبيلة، والمقاصدُ سامية، فالثراءُ مثلاً: هدفٌ تطمحُ إليه النفوسُ، ولكن هل يُتخذ من الربا والمعاملات المحرمة وسيلة لبلوغ هذه الغاية؟! ومن أراد أن يتفوق في دراسته هل يتخذُ من الغش والاحتيال وسيلة لبلوغ هدفه؟! كلا.

لا بد من الوصول إلى الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، ولا يكون ذلك إلا عن طريقه الذي حدده سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

الكفر أنواعه وعاقبة أهله

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعدله ضل الضالون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمده سبحانه حمد عبد نزَّه ربه عما يقول الظالمون، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وسبحان الله رب العرش عما يصفون، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق المأمون، وبعد:

فمع محبط آخر من محبطات الأعمال، وهو:

(الكفر)

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

والمعنى: أي إن أعمال الكفار التي عملوها في الدنيا، وظنوها أعمالاً صالحة نافعة لهم في الآخرة كالسراب الذي يُرَى في القيعان، وهو ما يُرَى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ أي: يظنه العطشان من بعيد ماءً جاريًا: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ أي: حتى إذا وصل إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ أي: لم ير ماءً ولا شرابًا، وإنما رأى سرابًا فعظمت حسرته، ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من بطلان أعمال الكفار، جاء موضحًا في آيات أُخَر، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال ابن منظور: الكفر لغةً: تغطيةُ الشيء تغطيةً تستهلكه.

قال الليث: يقال: إنما سُمِّي الكافرُ كافرًا؛ لأن الكُفْر غطَّى قلبه كله.

والكفر أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفرُ نفاق.

فأمَّا كفر الإنكار: فهو أن يكفرَ بقلبه ولسانه، ولا يعرف ما يُذكر له من التوحيد، كالذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] أي: الذين كفروا بتوحيد الله.

وكفرُ الجحود: هو أن يعترف بقلبه، ولا يقرُّ بلسانه، ككفر إبليس وفرعون وكفر اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٦].

وقال الله تعالى في فرعون وملئه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وقال تبارك وتعالى في مشركي العرب: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وأما كفر المعاندة: فهو أن يعرف الله بقلبه ويقرَّ بلسانه، ويأبى أن يقبل كأبي طالب الذي قال:

ولقد علمتُ بأن دين محمد
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحًا بذاك مُبينا

الإسلام يحتوي على خيري الدنيا والآخرة، ونعيم العاجلة والآجلة، فما من فضيلة إلا حث عليها، وما من رذيلة إلا نفر منها، فمن اعتصم بحبله المتين، وحرص على العمل بأحكامه، والتحلي بآدابه؛ عاش سعيدًا، ومات سعيدًا حميدًا

ومع ذلك أبى أن يسلم ويعلن إيمانه.

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر بلسانه ويكفر بقلبه. [تفسير البغوي ١ / ١٤٠، لسان العرب ٥ / ١٤٤، نضرة النعيم ١١ / ٥٤٤٤- ٥٤٤٥].

وقد بيَّن الله تعالى عاقبة الكافرين في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١ – ١٦٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٧– ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠].

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦ – ٣٧].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٠– ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣١ – ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢].

وقال جل وعلا: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٤، ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ

وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وأخبر ربنا سبحانه وتعالى بأن الكفر يطغى على أهله، ويقف حاجزًا بينهم وبين سماع الخير والإنصات إليه: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦، ٧].

وقد أخبر الله تعالى أنه لا يحب الكافرين:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وهؤلاء الكافرون أعداء الله، والله عدوهم:

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وهم أولياءُ الشيطان:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ومع ذلك فإن الله تعالى يدعوهم إلى التوبة والإنابة، والانتهاء عن الكفر، والدخول في الإيمان، فيقول سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣- ٧٤].

فمن استجاب لهذه الدعوة؛ فقد فاز ونجا، ومن رفض الاستجابة حال الله بينه وبين قلبه، وعطّل حواسه عن الانتفاع بالمواعظ بعد ذلك: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦، ٧].

والختم على القلوب: هو الاستيثاق منها، حتى لا يدخلها خيرٌ، ولا يخرج منها شرٌّ. ولذلك كان الكفارُ كما وصفهم الله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

فهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يفقهون، ولذلك شبَّههم الله بالأنعام، فقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

والنَّعق: صَوْتُ الراعي بالغنم.

ومعناه: مثلك يا رسولنا ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل كمثل الرَّاعي الذي ينعق بالغنم، وهي لا تسمع. [تفسير البغوي ١ / ٩٦].

هذا الكفرُ الذي وصفناه: هو ما سمَّاه العلماءُ الكفر الأكبر، وهو الموجب للخلود في النار خلودًا ليس له نهاية، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦ - ٣٧].

ندم الكفار يوم القيامة على عدم اعتناق الإسلام

قال الله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الأحزاب: ٢].

والمعنى: أن يومًا سيأتي هو يوم القيامة عندما يرى الكافر المسلمين يدخلون الجنة، ويدخل هو النار يودّ يومئذ أن لو كان من المسلمين.

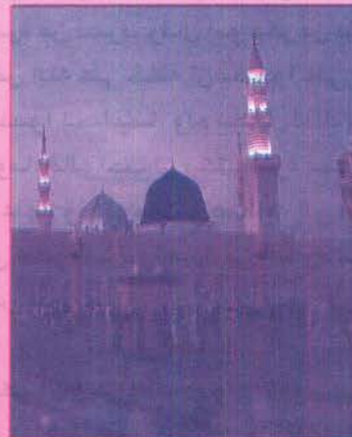
ولن يقبل منهم فدية: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١].

وحسب الإنسان أن يعلم أنَّ الدين الإسلامي يحتوي على خيري الدنيا والآخرة، ونعيم العاجلة والآجلة، فما من فضيلة إلا حثَّ عليها، وما من رذيلة إلا نفَّر منها، فمن اعتصم بحبله المتين، وحرص على العمل بأحكامه، والتحلي بآدابه؛ عاش سعيدًا، ومات سعيدًا حميدًا. رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا.

رب ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. نسأل الله أن يحسن ختامنا، وأن يتوفنا مسلمين، والحمد لله رب العالمين.

الصلاة على النبي

محمد صلى الله عليه وسلم



إعداد/ شوقي عبدالصادق

الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار العزيز الغفار، وأصلي وأسلم على نبيه المختار ما تعاقب الليل والنهار. وبعد:

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وهذه الآية الكريمة هي عمدتنا في بيان الصلاة على النبي ﷺ وحكمها وكيفيتها، وما يترتب على ذلك من أجر وفائدة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: السر البياني في هذه الآية العظيمة

قال الألوسي رحمه الله تعالى: والتعبير بالجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار، وذكر أن الجملة تفيد الدوام نظراً إلى صدرها؛ حيث إنها جملة اسمية، وتفيد التجدد نظراً إلى عجزها من حيث إنها جملة فعلية؛ فيكون مفادها استمرار الصلاة وتجددها وقتاً فوقتاً، وتأكيدها بـ (إنَّ) للاعتناء بشأن الخبر، وقيل لوقوعها في جواب سؤال مقدر هو: ما سبب هذا الشرف العظيم؟

وعبر بالنبي دون اسمه على خلاف الغالب في حكايته تعالى عن أنبيائه عليهم السلام إشعاراً بما اختص به من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر بأل التي للغلبة إشارة إلى أنه المعروف الحقيق بهذا الوصف، وإضافة الملائكة للاستغراق، وقيل ملائكته ولم يقل الملائكة إشارة إلى عظيم قدرهم ومزيد شرفهم بإضافتهم إلى الله، وذلك مستلزم لتعظيمه ﷺ بما يصل إليه منهم، من حيث إن العظيم لا يصدر منه إلا عظيم، ثم فيه التنبيه على كثرتهم، وأن الصلاة من هذا الجمع الكثير الذي

لا يحيط بمنتهاه غير خالقه واصلة إليه ﷺ على مر الأيام والدهور مع تجديدها في كل وقت وحين. [روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: للألوسي ج١٦ / ٢٠٤].

يقول ابن عاشور: وهذه صلاة خاصة أرفع صلاة مما شمله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾؛ لأن عظمة مقام النبي ﷺ تقتضي عظمة الصلاة عليه، وجملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾، هي المقصودة وما قبلها توطئة لها وتمهيد؛ لأن الله سبحانه لما حذر المؤمنين من كل ما يؤذي النبي ﷺ أعقبه بأن ذلك ليس هو أقصى حظهم من معاملة رسولهم أن يتركوا أذاه بل حظهم أكبر من ذلك، وهو أن يصلّوا عليه ويسلموا، وذلك هو إكرامهم الرسول فيما بينهم وبين ربهم، وجيء في صلاة الله وملائكته بالمضارع الدال على التجديد والتكرير؛ ليكون أمر المؤمنين بالصلاة عليه والتسليم عقب ذلك، مشيرًا إلى تكرير ذلك منهم أسوة بصلاة الله وملائكته. [التحرير والتنوير ١١ / ٣١٦].

ثانيًا: معنى صلاة الله سبحانه وصلاة الملائكة

قال ابن كثير: قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون: يبرِّكون، وروى عن سفيان الثوري وغير واحد قالوا: صلاة الرب: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار. [ابن كثير: ٣ / ٦٨٤].

ثالثًا: كيفية الصلاة عليه ﷺ

روى الشيخان من حديث كعب بن عُجْرَة قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علّمنا كيف نسلم عليكم، قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد». [متفق عليه. انظر اللؤلؤ والمرجان: ٢٢٧].

وفيهما عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم». [متفق عليه. انظر اللؤلؤ والمرجان: ٢٢٨].

وذهب الجمهور إلى جواز الترحم على النبي ﷺ واستدلوا بحديث الأعرابي قال: «اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حَجَّرْتَ واسعًا». [البخاري: ٦٠١٠].

رابعًا: حكم الصلاة عليه ﷺ

قال القاضي عياض: اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت؛ لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب، وأجمعوا عليه، ونقل أيضًا أنها فرض على المرء يأتي بها مرة من دهره، وقال أبو بكر بن بكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل لذلك وقتًا معلومًا؛ فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها، وذهب مالك وأصحابه إلى أن من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه.

وفي الصلاة

حكى الإمامان الطبري والطحاوي إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة أن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد غير واجبة، وشذ الشافعي فقال: من لم يصلِّ

على النبي ﷺ بعد التشهد الأخير قبل الصلاة؛ فصلاته فاسدة، وإن صلى قبل ذلك لم تجزه، ولا سلف له في ذلك القول، ولا سنة يتبعها، وحكى مالك أنها في التشهد الأخير مستحبة، وأن تاركها في التشهد مسيء، وكل من روى التشهد عن النبي ﷺ كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعًا لم يذكروا فيه صلاة على النبي ﷺ، وقد قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن». [مسلم ٤٠٣، كتاب الشفا للقاضي عياض ٢ / ٣٠٣- ٣٠٥ بتصرف].

وقال ابن كثير في تفسيره: عن أبي مسعود البدري أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا ؟ فقال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد» [أخرجه أبو داود (١ / ١٥٥)، والدارقطني (١٣٥)، والبيهقي (٢ / ١٤٦ و٣٧٨)، وحسنه الألباني].

ومن هنا ذهب الشافعي إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير، وينتصر ابن كثير لرأي الشافعي، فيقول: قد روينا وجوب ذلك الأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهر الآية، ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدري وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، وما ذهب إليه الإمام أحمد أخيرًا وابن المواز المالكي، وساق حديثًا عن فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عَجِلَ هذا» ثم دعاه فقال له ولغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه، ثم ليصلِّ على النبي، ثم ليدعُ بما شاء». [حسنه الألباني في فضل الصلاة: ص٨٦].

وقال أبو السعود: الآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقًا من غير تعرُّض لوجود التكرار وعدمه، وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره؛ لقوله: «رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ». [الترمذي ٣٥٤٥، وصححه الألباني - وانظر إرشاد العقل السليم لمزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود ٥ / ٣٤٩].

خامسًا: مواطن يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ﷺ

أورد ابن كثير مواطن ورد فيها الأمر بالصلاة عليه، منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، وهي:

١- بعد النداء بالصلاة؛ لحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة؛ صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة؛ حلت له الشفاعة». [مسلم: ٣٨٤].

٢- ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه؛ لحديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم، ثم قال: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم، ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك». [حسنه الألباني في الكلم الطيب: ص٩٢].

٣- في الصلاة كما تقدم في التشهد الأخير، وأما التشهد الأول فلا يجب فيه قولاً واحدًا، وهل يستحب؟ على قولين للشافعي. [ابن كثير: ٣ / ٦٩٤].

٤- الصلاة عليه في صلاة الجنازة؛ لما رواه سهل بن حُنَيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبِّر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب سراً في نفسه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ويخلص الدعاء للجنازة. [صححه الألباني في أحكام الجنائز ص١٥٥].

٥- في صلاة العيد؛ حيث سأل الوليد بن عقبة عن التكبير في العيد، فقال له عبد الله ابن مسعود تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة، وتحمد ربك، وتصلي على النبي، ثم تدعو وتكبر، وتفعل مثل ذلك ثم تكبر، وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك، وتصلي على النبي ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم ترجع، فقال حذيفة وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن. [حسن موقوف، الألباني فضل الصلاة على النبي ص٧٥].

٦- في دعاء القنوت، فعن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ: كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت؛ فإنك تقضي ولا يُقضَى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت». [أبو داود ١٤٢٧ وصححه الألباني]، وزاد النسائي في سننه بعد هذا: «وصلى الله على النبي محمد».

٧- يوم الجمعة وليلة الجمعة، فعن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ».

قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ يعني وقد بليت. قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». [السلسلة الصحيحة: ١٥٢٧].

٨- عند زيارة قبره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام». [السلسلة الصحيحة: ٢٢٦٩].

ومن سلم عليه من بعيد تبلِّغه الملائكة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام». [السلسلة الصحيحة: ٢٨٥٣].

٩- عند ختم الدعاء، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك». [صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٧٦].

واعلم أخي المسلم أن الصلاة على النبي ﷺ عظيمة القدر في كل الأحوال، قال ﷺ: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة». [الترمذي وضعفه ٤٨٤ الألباني].

ولقوله ﷺ: «أتاني آت من ربي، فقال لي: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً». فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، ألا أجعل نصف دعائي لك. قال: «إن شئت». قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك. قال: «إن شئت». قال: ألا أجعل دعائي لك كله. قال: «إذن يكفيك الله همَّ الدنيا وهمَّ الآخرة». [أورده ابن القيم في جلاء الأفهام ٢٣١ وقال مرسل].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (١٢٣)

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة قبر إسماعيل عليه السلام وأمه في الحجر من المسجد الحرام

إعداد/ علـي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة، التي اتخذها القبوريون حجة لبناء المساجد على القبور، والصلاة فيها، وطلب المدد والعون من أصحاب هذه القبور، والذبح عندها، والنذر لها، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة.

أولاً: متن القصة

رُوِي عن ابن إسحاق قال: وُلد لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثنا عشر رجلاً، وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، فولدت له اثني عشر رجلاً: نابت بن إسماعيل، وقيدار بن إسماعيل، وواصل بن إسماعيل، ومياس بن إسماعيل، وازر وطيما بن إسماعيل، وقطور بن إسماعيل، ونبش بن إسماعيل، وقيدما بن إسماعيل، وكان عمر إسماعيل فيما يذكرون ثلاثين ومائة سنة، فمن نابت بن إسماعيل وقيدار بن إسماعيل نشر الله العرب، وكان أكبرهم قيدار ونابت ابنا إسماعيل، ومنهما نشر الله العرب، وكان من حديث جرهم وبني إسماعيل أن إسماعيل لما تُوفي دفن مع أمه في الحجْر.

وزعموا أن فيه دفنت حين ماتت، فولي البيت نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه، ثم توفي نابت بن إسماعيل، فولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي، وهو جد نابت بن إسماعيل أبو أمه، وضم بني نابت بن إسماعيل وبني إسماعيل إليه فصاروا مع جدهم أبي أمهم مضاض بن عمرو ومع أخوالهم من جرهم، وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكًا عليهم، وعلى قطورا رجل منهم يقال له السميدع ملكًا عليهم، ونزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلى مكة وقيقعان فحاز ذلك، ونزل السميدع أجيادين وأسفل مكة فما حاز ذلك..».

قلت: والقصة طويلة في ستة وأربعين سطراً، خُتمت بستة أبيات من الشعر كما هي عادة ابن إسحاق في السير والمغازي، وهذه الأبيات الشعرية تحكي ما كان في نهاية القصة من حرب دارت بين الملكين مضاض بن عمرو،

والسميدع؛ فاقتتلوا قتالاً شديدًا فقُتل السميدع وفضحت قطور، ويقال ما سمي فاضح فاضحاً إلا لذلك، وفاضح: هو موقع قرب مكة عند أبي قبيس، وهو عند سوق الرقيق إلى أسفل من ذلك.

ثانيا: التخريج

هذه القصة أخرجها أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المعروف بالأزرقي المتوفى سنة (٢٥٠هـ) في كتابه «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» (١ / ٨١)، باب «ذكر ولاية بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام الكعبة بعده وأمر جرهم».

قال: حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن إسحاق، قال: وُلد لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثنا عشر رجلاً... القصة.

ثالثا: التحقيق

قلت: هذه القصة واهية، وخبرها من حيث وصوله إلينا كما هو مبين في التخريج، لم يكن مرفوعًا بل لم يكن موقوفًا.

١- والخبر المرفوع هو ما أُضيف إلى النبي ﷺ.

٢- والخبر الموقوف هو ما أُضيف إلى الصحابي.

٣- والخبر المقطوع هو ما أُضيف إلى التابعي أو من دونه من قول أو فعل، كذا في «اختصار علوم الحديث» للحافظ ابن كثير؛ النوع (٦) والنوع (٧) والنوع (٨)، ونظمها البيقوني في «البيقونية» فقال:

وما أضيف للنبي المرفوع
وما لتابع هو المقطوع
وما أضفته إلى الأصحاب من
قول وفعل فهو موقوف زكن

٤- قلت: وبتحقيق الطبقة التي يُنسب إليها محمد بن إسحاق المضاف إليه الخبر الذي جاءت به هذه القصة:

قال الحافظ في «التقريب» (٢ / ١٤٤): «محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم المدني، نزيل العراق صاحب المغازي؛ يدلس ورُمي بالتشيع والقَدَر، من صغار الخامسة، مات سنة خمسين ومائة». اهـ.

قلت: «والخامسة هي الطبقة الصغرى من التابعين، الذين رأوا الواحد والاثنين، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة». كذا في «مقدمة التقريب» (١ / ٦).

إذن محمد بن يسار من طبقة: «صغار التابعين»، وبالنظر إلى الخبر من حيث وصوله إلينا، وبالنظر إلى علم الطبقات يُحكم على الخبر الذي جاءت به القصة بأنه «مقطوع»، وليس من قول النبي ﷺ، ولا من قول الصحابة حتى يأخذ حكم الموقوف لفظًا المرفوع حكمًا، إنما هو من قول ابن إسحاق قال: وُلد لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثنا عشر رجلاً... وكان من حديث جرهم وبني إسماعيل أن إسماعيل لما توفي دُفن مع أمه في الحِجْر». القصة.

قلت: فعمَّن أخذ ابن إسحاق هذا الخبر، وهو من صغار التابعين، وعلى الأقل يكون بينه وبين النبي ﷺ الوسطى والكبرى والصحابة؛ فكيف وهذا الخبر لم يُرفع إلى النبي ﷺ؟!

قلت: وهذا الخبر يفتقد شرطي الحديث المسند من: الاتصال والرفع.

٥- وحتى لو كان متصلاً مرفوعًا: لا يقبل؛ حيث إن ابن إسحاق مدلس، أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة «الرابعة» رقم (٩): قال: «محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، صاحب المغازي، مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين، وعن شرٍ منهم». اهـ.

وفي «التهذيب» (٩ / ٣٧) قال يعقوب بن شيبة: سمعت ابن نمير يقول: إذا حدث عن من سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث، وإنما أُتِي من أنه يُحدث عن المجهولين أحاديث باطلة». اهـ.

٦- قلت: بهذا يتبين أن ما قاله ابن إسحاق عبارة عن حكايات غير مسندة؛ لذلك قال الإمام أحمد بن حنبل: «قدم ابن إسحاق بغداد؛ فكان لا يبالي عمن يحكي، عن الكلبي وغيره». كذا في «التهذيب» (٩ / ٣٨)، وفي «تاريخ بغداد» (١ / ٢٣٠).

قلت: والكلبي هو محمد بن السائب الكلبي الكوفي الأخباري، قال ابن معين: الكلبي ليس بثقة، وقال الجوزجاني وغيره: كذاب، وقال الدارقطني وجماعة: تركوه. اهـ. كذا في «الميزان» (٣ / ٥٥٩ / ٧٥٧٤).

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣ / ٤٦٨ / ٧١٩٧): «وقال أبو داود الطيالسي: حدثني بعض أصحابنا، قال: سمعت ابن إسحاق يقول: حدثني الثقة، فقيل له: مَن؟ قال: يعقوب اليهودي».

٧- نقل الإمام الذهبي عن أبي بكر الخطيب أن ابن إسحاق كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي، ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار.

قلت: وفي هذه القصة الواهية ما يدل على ذلك من الأشعار المختلقة المصنوعة التي يدسّها ابن إسحاق في أخبار المغازي التي هي من مظان الوضع عند أصحاب الصنعة، ولذلك نجد ابن إسحاق بعد أن ذكر أخبار المغازي في الحرب التي دارت بين مضاض بن عمرو الجرهمي، وهو جد نابت بن إسماعيل أبو أمه، وبين السميدع، قال:

ونحن قتلنا سيد الحي عنوة
فأصبح فيها وهو حيران موجع
وما كان ينبغي أن يكون سواءنا
بها ملكا حتى أتانا السميدع
فذاق وبالاً حين حاول ملكنا
وعالج منا غصة تتجرع
فنحن عمرنا بالبيت كنا ولاته
نحامي عنه من أتانا وندفع
وما كان ينبغي أن يلي ذاك غيرنا
ولم يكن في قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكًا في الدهور التي مضت
ورثنا ملوكًا لا تُرام فتوضع

٨- قلت: لذلك قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣ / ٤٦٩): «محمد بن إسحاق بن يسار، ما له عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأسماء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة».

ثم ذكر الإمام الذهبي من وهّاه:

أ- قال: أبو داود: «قدري معتزلي».

ب- وقال سليمان التيمي: «كذاب».

جـ- وقال أحمد: «كثير التدليس جدًا».

د- وقال يحيى القطان: «أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب».

هـ- وروى عن حميد بن حبيب أنه رأى ابن إسحاق مجلودًا في القدر، جلده إبراهيم بن هشام الأمير.

و- وقال عبد الرحمن بن مهدي: «كان يحيى بن سعيد الأنصاري، ومالك يجرِّحان ابن إسحاق».

ز- وقال يحيى بن آدم: حدثنا ابن إدريس، قال: كنت عند مالك فقيل له: إن ابن إسحاق يقول: اعرضوا عليَّ علْمَ مالك؛ فإني بيطاره. فقال مالك: «انظروا إلى دجَّال من الدجاجلة».

٩- قلت: وهذه بعض أقوال من وهَّاه وجرحه من أئمة الجرح والتعديل، وهناك البعض ممن وثَّقه، ولكن القاعدة عند أهل الصنعة أن «الجرح مقدم على التعديل»، خاصة وأن التجريح ظاهر في الإسناد وفي الاعتقاد، ولذلك أورد الإمام الذهبي من مناكيره في «الميزان» (٣ / ٤٧٣): عن ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن ابن عمر أنه بعث إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فبعث إليه أنْ نَعَمْ. رآه على كرسي من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة: ملك في صورة رجل، وملك في صورة أسد، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر، في روضة خضراء دونه فراش من ذهب». اهـ.

١٠- لذلك قال الإمام الدارقطني: «لا يُحتج به».

قلت: لذلك ما احتج به الإمام البخاري في صحيحه، وكذلك لم يرو له الإمام مسلم احتجاجًا، ولكن روى له خمسة أحاديث استشهادًا؛ لأن ما انفرد به؛ ففيه نكارة». اهـ. كذا في «الميزان» (٣ / ٤٧٥).

قلت: بهذا يتبين أن قصة قبر إسماعيل عليه السلام وأمه في الحِجْر من المسجد الحرام قصة واهية، من الأخبار الباطلة المنكرة المنقطعة والمقطوعة التي قال عنها الإمام الذهبي: إن ابن إسحاق قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة، كما بينا آنفًا من تحقيقنا.

١١- وعلة أخرى في هذا الخبر المقطوع المنكر هو عثمان بن ساج الذي روى هذا الخبر عن ابن إسحاق، أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣ / ٣٤ / ٥٥١٠) قال: «عثمان بن ساج لا يُتابع هو ابن عمرو». اهـ.

١٢- قال الحافظ في «التهذيب» (٧ / ١٣١): «عثمان بن عمرو بن ساج القرشي أبو ساج الجزري مولى بني أمية»، وقد ينسب إلى جده، روى عن محمد بن إسحاق، وقال العقيلي: عثمان بن عمرو الحراني لا يُتابع على حديثه، وقال الأزدي: يتكلمون في حديثه».

قلت: ومنهم من تردد بين عثمان بن ساج وعثمان بن عمرو بن ساج، ومنهم من جعله واحدًا كالإمام الذهبي.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤ / ١٦٣) (١١٧٥ / ٥٥٢٦): «عثمان بن ساج عن خصيف لا يُتابع هو ابن عمرو سيأتي».

قلت: هذا قول الإمام الذهبي في «الميزان» كما أوردناه آنفًا؛ فتعقبه الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان»، فقال: «وأراد بقوله سيأتي، أنه سيذكره في عثمان بن عمرو بن ساج، وعثمان بن عمرو هذا، أخرج له النسائي وله ترجمة في «التهذيب»، وقد فرّق غيره بين عثمان بن ساج، وعثمان بن عمرو بن ساج». اهـ.

قلت: وسواء لم يفرقوا بينهما أو فرّقوا بينهما؛ فمما أوردناه آنفًا في «الميزان» و«التهذيب» يتبين أنه في كلتا الحالتين «لا يُتابع على حديثه»؛ لأنها غرائب ومناكير.

١٣- وعلة ثالثة: سعيد بن سالم أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٧ / ٢٠٣ / ٢٢٦١) قال: «سعيد بن سالم القداح أبو عثمان المكي، خرساني الأصل، ويقال: كوفيٌّ سكن مكة، روى عن عثمان بن عمرو بن ساج الجزري».

قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١ / ٣١٦):

«سعيد بن سالم القداح كان يرى الإرجاء، وكان يَهِم في الأخبار؛ حتى يجيء بها مقلوبة، حتى خرج بها عن حد الاحتجاج به، ثم ذكر عن يحيى بن معين قال: سعيد بن سالم القداح ليس بشيء». اهـ.

قلت: مما أوردناه آنفًا يتبين أن الخبر الذي جاءت به قصة قبر إسماعيل عليه السلام وأمه في الحِجْر من المسجد الحرام قصة باطلة، خبرها مقطوع ليس بمسند، ومع ذلك مسلسل بالعلل.

رابعًا: طريق آخر مقطوع للقصة

أخرجه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في «تاريخ الأمم والملوك» (١ / ١٨٥) قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: وُلد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي:

نابت بن إسماعيل، وقيدر بن إسماعيل، وأدبيل بن إسماعيل، ومبشا بن إسماعيل، ومسمع بن إسماعيل، ودما بن إسماعيل، وماس بن إسماعيل، وأدد بن إسماعيل، وطور بن إسماعيل، ونفيس بن إسماعيل، وطماس بن إسماعيل، وقيدمان بن إسماعيل، قال: وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب ونبأ الله عز وجل إسماعيل فبعثه إلى العماليق - فيما قيل - وقيل اليمن، وقيل: إن إسماعيل لما حضرته أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق، وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعًا وثلاثين سنة، ودُفن في الحِجْر عند قبر أمه هاجر.

خامسًا: التحقيق

١- هذا الطريق أوهى من الأول، ولم يزد القصة إلا وهنًا على وهن؛ فهو أيضًا مقطوع وليس بمسند من أخبار ابن إسحاق أيضًا، وقد بيناها آنفًا، والراوي عنه تالف وهو: «سلمة».

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢ / ١٩٢ / ٣٤١٠) قال: «سلمة بن الفضل الأبرشي، راوي المغازي عن ابن إسحاق» ضعّفه ابن راهويه، وقال البخاري: في حديثه بعض المناكير، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن المديني: ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة، وقال أبو حاتم: لا يُحتج به، وقال ابن معين: سلمة الأبرش رازيّ يتشيع. وقال أبو زُرْعة كان أهل الري لا يرغبون فيه؛ لسوء رأيه وظلم فيه». اهـ.

قلت: بهذا يصبح هذا الطريق عن ابن إسحاق يزيد القصة وهنًا على وهن.

٢- وفوق هذا عندما ذكر الإمام ابن جرير خبر دفن إسماعيل عليه السلام في الحِجْر عند قبر أمه هاجر لم يذكره بصيغة «الجزم»، ولكن ذكره بصيغة «التمريض» وهي: «قيل».

«وقيل إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى.. ودُفن في الحجر عند قبر أمه». انظر كيف أدخل صيغة التمريض «قيل»، ولم يدخل صيغة الجزم (قال)، وهذا يدل على أن الخبر لا يصح.

٣- قال الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (ص١٠٨): «وأما ما ذُكر في بعض الكتب أن قبر إسماعيل عليه السلام وغيره في الحجر في المسجد الحرام؛ فلم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دُفنوا في المسجد الحرام، ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة كالكتب الستة، ومسند أحمد ومعاجم الطبراني الثلاثة، وغيرها من الدواوين المعروفة؛ ذلك من أعظم علامات كون الحديث ضعيفًا، بل موضوعًا عند بعض المحققين، وغاية ما رُوي في ذلك آثار معضلات بأسانيد واهيات موقوفات أخرجها الأزرقي في «أخبار مكة» فلا يُلتفت إليها، وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلمات». اهـ.

قلت: وهذه القصة الواهية كما هو مبين من التخريج الذي أوردناه آنفًا لم ترد في كتاب من كتب السنة المعتمدة كالكتب الستة والمسانيد كمسند الإمام أحمد ومسند أبي يعلى، ولا معاجم الطبراني الثلاثة، وغيرها.

المسألة الأخرى: غاية ما رُوي حول هذه القصة الواهية آثار معضلات بأسانيد واهيات موقوفات أخرجها الأزرقي في «أخبار مكة».

قلت: ومن التحقيق لهذه القصة الواهية تبين كما أوردنا آنفًا أنها أخبار مقطوعة عن مدلسين مشهورين بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين، وعن شر منهم، وأسانيد هذه الأخبار المقطوعة باطلة، وهي لم تكن موقوفة، بل كما بينا مقطوعة، ومع أنها مقطوعة فهي باطلة واهية، ولم توجد هذه القصة الواهية في حديث مسند صحيح.

قلت: والأدهى من ذلك أن قصة دفن أم إسماعيل في موضع الحجر من المسجد الحرام، وكذلك إسماعيل عليه السلام، أوردها الأزرقي في «أخبار مكة» بغير إسناد، ولم يستطع أن ينسبها إلى أحد من الصحابة أو النبي ﷺ.

فقد بينا آنفًا ما أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» من خبر مصنوع بسند مقطوع تالف.

والأزرقي في «أخبار مكة» (١ / ٥٦) أخرج هذا الخبر بغير سند فقال: «قال ابن جريج: فماتت أم إسماعيل قبل أن يرفعه إبراهيم وإسماعيل ودُفنت في موضع الحجر».

قلت: هذا الخبر لا سند له، وعند علماء الصنعة «لا أصل له»، ومنسوب إلى ابن جريج، وابن جريج لم يكن صحابيًا ولا تابعيًا، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١ / ٥٢٠): «عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، مولاهم المكي، كان يدلس ويرسل من السادسة». اهـ. قلت: وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج منسوب إلى جده.

قال الحافظ في «التقريب» (١ / ٦) في «الطبقات»: «السادسة: طبقة عاصروا الخامسة، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة، كابن جُريج». اهـ.

قلت: فالطبقة السادسة لم يلاقوا الصحابة؛ فلم يكونوا من التابعين، وفي «التهذيب» (٦ / ٣٥٩) نقل الحافظ عن يحيى بن سعيد قال: «إذا قال ابن جريج: حدثني؛ فهو سماع، وإذا قال: أخبرني فهو قراءة، وإذا قال: قال؛ فهو شبه الريح». اهـ.

قلت: وفي هذا الخبر نجد الأزرقي ينقله بغير إسناد عن ابن جريج، قال: فماتت أم إسماعيل.. القصة.

فهذا الخبر شبه الريح، تالف؛ بتطبيق قواعد أهل الصنعة التي أوردناها آنفًا، ولذلك قال الإمام الدارقطني: «تجنب تدليس ابن جريج؛ فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح مثل إبراهيم بن أبي يحيى، وموسى بن عبيدة». اهـ.

قلت: وبتتبع طرق خبر قصة دفن إسماعيل وأمه في الحجر، وحديث الأزرقي في «أخبار مكة» يذكر الخبر بغير سند، بل بغير نسبة إلى قائله، بل أبهم اسمه.

فنجد الأزرقي في «أخبار مكة» (١ / ٨٦) ينقل خبر القصة كالآتي: «قالوا: وتوفي إسماعيل ودفن في الحجر، وكانت أمه قد دُفنت في الحجر أيضًا». اهـ.

قلت: وبهذا التحقيق لم توجد رواية مسندة للقصة، بل غاية ما رُوي في ذلك آثار معضلات بأسانيد واهيات مقطوعات عن مدلسين أخرجها الأزرقي في «أخبار مكة» والطبراني في «التاريخ» كما هو مبين من التخريج والتحقيق.

خامسًا: لقد نقل الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» ص(١١٢) عن الشيخ علي القاري رحمه الله تعالى أنه قال في «مرقاة المفاتيح» (١ / ٤٥٦): «وذكر أن صورة قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر تحت الميزاب، وأن في الحطيم بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيًا».

ثم ردَّ القاري على هذه الفرية التي يستدل بها القبوريون على بناء المساجد على القبور والصلاة فيها، فقال رحمه الله: «وفيه أن صورة قبر إسماعيل عليه السلام وغيره مندرسة فلا يصلح الاستدلال». اهـ.

قال الألباني: وهذا جواب عالم نحرير، وفقيه خرِّيت، وفيه الإشارة بأن العبرة في هذه المسألة بالقبور الظاهرة، وأن ما في بطن الأرض من القبور؛ فلا يرتبط به حكم شرعي من حيث الظاهر، بل الشريعة تتنزه عن مثل هذا الحكم؛ لأننا نعلم بالضرورة والمشاهدة أن الأرض كلها مقبرة الأحياء، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٦].

قلت: هذا لو فرضنا أنها كانت موجودة واندرست، ولكن بالبحوث العلمية الحديثية لم يثبت لها وجود، وكلها أخبار واهية بآثار مقطوعة في أسانيد تالفة، بل وفيها ما لا أصل له.

سادسا: أحاديث صحيحة مسندة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد

منها: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

قالت: «فلولا ذاك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا». أخرجه البخاري (ح١٣٣٠، ١٣٩٠، ٤٤٤١)، ومسلم (ح٥٢٩)، واللفظ له.

قلت: فالحديث متفق عليه، وهو في أعلى درجات الصحة.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرحه» قال العلماء: «إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا؛ خوفًا من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به؛ فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر في المسجد؛ فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر؛ ولهذا قال في الحديث: «ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

القصة في كتاب الله

الحلقة (١٢)

عيسى ابن مريم

- عليه السلام -

تابع الحقائق الإيمانية والفوائد العلمية (٢)

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان، والصلاة والسلام على محمد خير الأنام وعلى أصحابه وإخوانه الرسل الكرام.

أما بعدُ: فهذا لقاؤنا الثاني مع الحقائق الإيمانية، والفوائد العلمية المستخلصة من قصة عيسى ابن مريم (عليه وعلى أمه السلام)، وقد عرضنا في لقائنا السابق لمجموعة منها، وها نحن نكمل بعون الله تعالى فنقول:

خامساً: التوحيد دعوة جميع الرسل

نعم أيها الأخ الكريم، ما من رسول أرسله الله، وما من كتاب أنزله الله؛ إلا وكانت غايته دعوةَ الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى مخاطباً نبيَّه ورسوله محمداً ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فهذه دعوة خاتم النبيين محمد ﷺ، وقد استفاض بها القرآن الكريم، حتى بات أمراً لا يخفى على أحد.

والذي نريد أن نؤكد عليه أن الكتب السابقة التي بأيدي أهل الكتاب اليوم - مع ما وقع فيها من تحريف- تؤكد هذه الحقيقة: حقيقة توحيد الله سبحانه وتعالى، ففي العهد القديم تصريح واضح بأن الله واحد في السماء وفي الأرض، وأن الشرك ذنب عظيم، وجزاؤه القتل.

١- فالإصحاح الرابع من سفر التثنية - العدد ٣٥ يقول: «لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره».

٢- وفي العدد ٣٩: «فاعلم اليوم، واقبل بقلبك، أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت وليس غيره».

٣- وفي الإصحاح الخامس والأربعين من سفر أشعيا العدد ٥: «أنا هو الرب وليس غيري، وليس دوني إله، شددتك ولم تعرفني». وهذا يصدقه ما جاء في القرآن الكريم في مواضع شتى، منها قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وأيضًا في سفر أشعيا العدد ٦: «ليعلم الذين هم من مشرق الشمس، والذين هم من المغرب؛ أنه ليس غيري، أنا الرب وليس آخر». وهذا يصدِّقه قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وفي العهد القديم الإصحاح الثالث عشر العدد ١ من سفر التثنية: «أنه لو دعا نبي أو من يدعي الإلهام إلى عبادة غير الله؛ فإنه يُقتل هذا الداعي وإن جاء بمعجزات عظيمة».

وفي الإصحاح السابع عشر من سفر العدد (٢ - ٧): «أنه لو ثبت على أحد عبادة غير الله يُرجم، رجلاً كان أو امرأة».

ولم يشذ العهد الجديد عن القديم، بل إن النصوص فيه تصرِّح بنفس الحقيقة التي حسمتها الكتب السابقة.

١- ففي الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقص ٢٨: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون؛ فلما رأى أنه أجابهم حسنًا، سأله أية وصية هي أول الكل» (٢٩): «فأجابه يسوع: أن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل ! الرب إلهنا واحد».

٢- في العدد الثالث من الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام مخاطبًا ربه وإلهه: «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلت».

وهذا الذي جاء في الأناجيل يصدِّقه القرآن في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ويعقوب المذكور في القرآن هو إسرائيل، والوصية له ولأبنائه من بعده.

وهذا الإجماع في دعوة التوحيد لم يشذ عنه إلا وصية في متى الفقرة (١٩) من الإصحاح (٢٨)، وفاصلة في يوحنا الفقرة (٧) من الإصحاح الخامس، هذان فقط جاء فيهما ذكر الأب والابن والروح القدس، وهذان النصان تعقَّبهما النقاد الغربيون المتخصصون أمثال الأب الدكتور بروس متزجر، د. بارت أرمان وغيرهما، وأثبتا شذوذهما وزيغهما، ولسنا هنا في مجال عرض هذه الدراسة. [انظر المجلة العلمية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد المحرم ١٤٣١هـ].

سادساً: حفظ القرآن من التحريف

لما كانت التوراة مرحلية، والإنجيل كذلك؛ فإن الله استحفظ عليهما أهلهما، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، قال بما: ﴿اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ...﴾ أي جعلهم الله أمناء على كتاب الله، يحفظونه من التحريف والتبديل، ولكنهم غيَّروا وبدَّلوا، ويا للأسف، ولما كان القرآن هو كلمة الله الباقية لأهل الأرض قاطبة، لم يستحفظ الله عليه أحدًا، بل تكفل سبحانه بحفظه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وتأمل كيف جاء الله سبحانه بنون العظمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ ليُشعرك بعظمة القرآن ومن قبل بعظمة مُنزله سبحانه، وعظمة مهمة حفظه، وأهمية ذلك لمصلحة البشرية كافة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

سابعاً: القرآن كلام الله وليس كلام محمد

في القصص القرآني أكبر دليل على أن هذا القرآن هو من عند الله، وليس من عند محمد؛ كما زعم المشركون قديمًا، وكما يزعم من طمس الله على قلبه حديثًا؛ فينسب هذا القرآن إلى محمد، ويزعم أن محمدًا هو الذي كتبه، والذي يقول ذلك لا يعي التاريخ ولا يعقل ما في القرآن؛ فالمشهور عند الناس أن محمدًا كان أُميًا لا يقرأ ولا يكتب، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الإيمانُ ولَكنْ جعلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥] أي أنزله الله على قلب النبي محمد بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، نعم ما أدرى هذا النبي الأمي الذي لم يقرأ كتب السابقين ولا المعاصرين، والذي كان يعيش في شعاب مكة، بعيداً عن العواصم الحضارية في العالم آن ذاك، ما الذي أدراه بنوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، لولا أن الله مَنَّ عليه بهذا القرآن، وأوحى إليه فيه علم الأولين والآخرين؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ثامناً: مريم صديقة وابنها عبد الله ورسوله

قال الله عز وجل: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥]، نعم انظر إلى وضوح الدليل ومع ذلك انظر كيف يُصرفون عنه مع شدة وضوحه؛ فالأمر الذي لا يختلف عليه اثنان أن عيسى كان يأكل الطعام وأمه مريم كانت تأكل الطعام، ولازم ذلك مفهوم ومعلوم سكت عنه القرآن تعففاً عن ذكره ولشدة وضوحه، فهل يليق هذا الوصف بالله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

تاسعاً: منزلة مريم في القرآن الكريم

أثنى الله تعالى على مريم، ومدحها بضد ما وصمها به اليهود، ورفع ذكرها، وجعلها وابنها آية للعالمين، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١].

عاشراً: من سنن الله في الكون الأخذ بالأسباب

نعم، إن من سنن الله الثابتة أن جعل لكل شيء سبباً، وإن كان الله سبحانه هو الفاعل على الحقيقة للأسباب، والمسببات، والتوكل الحقيقي لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب، وعلى المسلم أن يبذل السبب الذي يتمكن منه، ولو كان بسيطاً، والله سبحانه وتعالى يجبر عجزه، وهذا نفهمه من قوله تعالى لمريم عليها السلام عند المخاض: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾ [مريم: ٢٥]، ماذا تفعل مريم بهزها لجذع النخلة؟!

لكنها ما دامت تستطيع أن تفعل ذلك؛ فلتفعله، والله يفعل ما يشاء، فهو سبحانه وتعالى يرزق بالأسباب وبغيرها، فهو الذي جعل لها نهراً يجري في الصحراء دون أن تطلب، أو تبذل سبباً، وهو سبحانه الذي أطعمها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وهو الذي جعلها تحمل بغير بعل، وأنطق عيسى في المهد، ودفع عنها وعن ولدها أذى اليهود وعدوانهم؛ فسبحانه سبحانه.

كلمة في الختام

بعد استعراضنا لقصة عيسى ابن مريم عليه وعلى أمه السلام، نحمد الله الذي هدانا للحق الذي ضلَّ عنه أكثر الناس، وأرشدنا إلى القول الوسط في المسيح عيسى ابن مريم دون تفريط اليهود أو إفراط النصارى، وهذا الحق الذي نؤمن به هو من عند الله الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ فهو الله الواحد الأحد الصمد، أرسل رسله منذ آدم مروراً بنوح وإبراهيم، وختمهم بمحمد ﷺ؛ فشريعته التامة، ودينه هو الذي ارتضاه الله ديناً، ولا يقبل من أحد سواه: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥]، ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

والحمد لله رب العالمين.



نظرات في تراث

الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل -رحمه الله-

أعدها/ فتحي أمين عثمان

الحمد لله رب العالمين، يجب أن يُعبد بما شرع لا بما يشرع الناس، ولا يقبل العمل إلا إذا كان صحيحًا وخالصًا؛ تحقيقًا لقول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:].

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل - رحمه الله-: إن الصوفية جعلوا وسيلة المعرفة عندهم تقوم على الذوق والكشف، دون العقل والشرع:

(الذوق)

وسيلة المعرفة عند الصوفية

لما جعلت الصوفية «الذوق» هو وسيلة المعرفة، دون الشرع والعقل؛ قصرت رحمة الله على فئة قليلة من عباده، وصيَّرت الإنسان كمن يمشي في ضوء الشمس وهو مغمض عينيه، فلا يستفيد من ضوئها، أو كمن يحاول أن يبصر في الظلام؛ فلا يستفيد من عينيه.

وبذلك اختلفت طرائقهم وأفكارهم، وصارت مصادر المعرفة عند الصوفية مختلفة ومتباينة؛ لأن كل صوفي يتحدث عنها من واقع تجربته الخاصة.

ومن هذا المنطلق كتب الشيخ عبد الرحمن الوكيل - رحمه الله - في كتابه «هذه هي الصوفية» عن مفهوم الذوق عند الصوفية، يقول: «إن الصوفية تعتقد أن الذوق الفردي لا الشرع، ولا العقل هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها لمعرفة الله وصفاته، وما يجب له، فهو - أي الذوق - الذي يُقَوِّم حقائق الأشياء، ويحكم عليها بالخَيْرِيَّة أو الشَّرِّيَّة، بالحُسْنِ والقُبْحِ، بأنها حق أو باطل، فلا جَرَمَ أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة، ولا عجب أن ترى النِّحلَةَ منها تخضع لصنم يكفر به سواها من النِّحل الصوفية، لا عجب في ذلك كله ما دامت تجعل «الذوق»(١) الفردي حاكمًا وقيِّمًا على المسميات وأسمائها(٢)... فيصنع للشيء معناه مرة، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى، هذه الحِدَّة في تَوَتُّر التناقض صِبْغَة الصوفية دائمًا في منطقها المخبول، ولقد ضربت الصوفيين أهواءُ أحبارهم بالحيرة والفُرقة، فحالُوا طَرائِقَ قِدَدًا تُؤَلِّهُ كل طريقة منها ما ارتضاه كاهنها صنمًا له، وتَعَبُّدُه بما يفتريه هواه من خرافات.. على حين يجمعهم على الوحدة هوًى واحد وغاية واحدة هي القضاء على الإسلام والأمة الإسلامية.

وإن لم يكن الأمر كذلك، ففيم هذه الشِّيَعُ المتطَاحِنَة، وفيمَ هذه المَشْيَخَات المتنابذة؟!

ويضرب الشيخ عبد الرحمن الوكيل - رحمه الله - الدليل على قوله السابق، بما جاء على لسان رويم البغدادي حيث يقول: «لا يزال الصوفية بخير ما تَنَافَرُوا، فإن اصطلحوا هلكوا».

وعن تعريف كلمة الذوق عند الصوفية، يذكر الشيخ الوكيل - رحمه الله - جانبًا من التعريفات التي قالوها:

١- يعرف القيصري الذوق بقوله (٣): «ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف، لا البرهان والكسب، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد». (ص ١٩٣ «مطلع خصوص الكلم»).

٢- أو هو: «أول درجات شهود الحق بالحق

في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث في التجلي البرقي». (ص١٠١ جامع الأصول للكمشخانلي).

٣- ويقول ابن عربي: «اعلم أن العلوم الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة مع كونها ترجع إلى عين واحدة(٤)»(٥). (ص ١٠٧ فصوص الحكم).

وفي مجال إبراز مدى اعتقاد الصوفية في أن «الذوق» هو وسيلة المعرفة لديهم نجد الشيخ الوكيل يقول(٦): «كل صوفي يؤمن بأن الذوق وحده وسيلة المعرفة، أما العقل عندهم فهو طاغوت أخرق، وأما الشرع فمادية تنشب مخالبها في الصخر دون أن ترمق السماء بنظرة واحدة، وهو نوع من عبادة التاريخ الميت، ولهذا تتباين عندهم قيم الأشياء تبعًا لتباين الذوق !!

وقد يرى الصوفي الباطل، فيما يرى غيره فيه حق، ولا يضيرهم أن يتوتر التناقض بين ما يؤمن به صوفي، ويكفر به آخر غيره، فكلاهما في الدين الصوفي على حق.

ولعل هذا سر فريتهم: «من اعترض انطرد»؛ إذ ربما حكمت بالشرع أو العقل على شيء ما بأنه باطل، وهو في «ذوق» شيخك حق، فتعرض نفسك للطرد من حظيرته.

وعلى هذا يحمل الشيوخ الدراويش، ويستعبدونهم، فما يفعل الشيخ من شيء إلا ويوحي إلى درويشه أنه فعله عن أمر إلهي، ألا ترى الجنيد حين سُئل: أيزني العارف؟ أجاب بقوله: «نعم، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا».

حقٌّ لونّه بباطل ذلك الجنيد. «زانٍ ويسميه عارفًا»(٧) أي: مؤمنًا قد بلغ ذروة الإيمان؛ لأنه رأى القضاء في لوح الغيب فنفذه.

وهنا نتذكر قول الدباغ: «إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي، وهو ليس بعاصٍ، وإنما روحه حجبت ذاته، فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية»(٨).

ثم يثني ويقول: «يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر، وهو ليس يشرب معهم، فيظنون أنه شارب الخمر، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور، وأظهرت ما أظهرت»(٩).

وتنكر الصوفية على العقل أنه وسيلة إلى المعرفة، ويرهقها حنقًا منه أن يحكم بالمغايرة بين الضدين أو بين النقيضين، وتنكر على الشرع تفرقته بين الإيمان والكفر أو بين الخير والشر؛ إذ لا تؤمن بغير «الذوق» سماء وحي، وقدس إلهام. ومن هذا كان اصطلاحهم المشهور: «من ذاق عرف».

أي من جعل «الذوق» وحده الوسيلة إلى المعرفة كان حقًا من العارفين بكُنْه الحقائق الربانية، بمعنى أن من استمد معرفته عن طريق الذوق كان هو العارف المكمل، أما من يستمد معرفته من الدين فهو من أهل الظاهر المحجوبين عن إدراك كُنْه الحقيقة الإلهية الكبرى.

أو بمعنى أوضح: عن إدراك حقيقة الألوهية التي يقدم وجودها عندهم وجودات العالم الظاهرة، وقد شطح بهم الذوق الأسطوري إلى اعتناق خرافة: «وحدة الوجود»، وبالتالي إلى اعتناق خرافة «وحدة الأديان» بالمعنى الصوفي، فعن إيمانهم بوحدة الوجود نتج إيمانهم بوحدة الأديان(١٠).

الهوامش

(١) يعني الذوق الخاص بكل إنسان، ونتيجة لهذا يصبح الدين والأخلاق بلا معيار ولا ميزان.

(٢) كتاب «هذه هي الصوفية» تأليف الشيخ عبد الرحمن الوكيل (ص٣٣).

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ص١٨١.

(٤) كتاب هذه هي الصوفية (ص١٣٧).

(٥) ويعني بالعين الواحدة: الذات الإلهية !!

(٦) كتاب هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل (ص١٣٣، ١٣٤).

(٧) التسمية بالعارف بدعة صوفية، تخفي وراءها كيدًا خفيًا للشريعة؛ إذ الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة، معرفة أن الحق عين الخلق، أما الغاية الحقة لكل مسلم، فهي الإيمان الصحيح مع التوحيد الخالص، مع التقوى، وكم من عارف صوفي دينه أساطير (ص١٨٦) تعليق (٢) كتاب مصرع التصوف.

(٨) الإبريز للدباغ (٢ / ٢٣).

(٩) الإبريز للدباغ (ص٤١).

(١٠) مجلة الهدي النبوي عدد ٨ لسنة ١٣٨٠ هـ مقال عن وحدة الأديان عند الصوفية بقلم عبد الرحمن الوكيل.



من فتاوى الأزهر



الحج بمال مسروق أو موهوب أو مقترض

س: ما حكم فريضة الحج بالمال المسروق، والمال الموهوب، والمال المقترض؛ على أن يقوم الحاج بسداد هذا الدين بعد عودته من الحج؟

الجواب: الحج فريضة على كل مسلم مكلف استطاع إليه سبيلاً، فمتى أداه المكلف بشروطه وأركانه صح شرعًا وسقط عنه، سواء أداه بمال حلال أو حرام، غير أنه إذا كان أداؤه بمال حرام كان حجه صحيحًا ولكنه غير مقبول، ومعنى ذلك أنه لا يُعاقب عقاب تارك الحج، ولكن لا يُقبل منه ولا يُثاب عليه؛ لأنه أداه بمال حرام، ولا تنافي بين سقوط الفرض عنه وعدم قبوله؛ لأنه لا يلزم من الصحة القبولُ، وصار كالصائم الذي يغتاب الناس، فإنه يسقط عنه فرض الصوم لأدائه بأركانه وشروطه، ولكنه لا يُقبل منه ولا يُثاب عليه؛ لارتكابه معصية الغيبة.

ومن هذا يعلم أن الحج بالمال المسروق أو بأي مال حرام يسقط به الفرض، ولكنه غير مقبول عند الله تعالى.

أما الحج بالمال الموهوب وهو الشطر الثاني من السؤال، فإنه لا خلاف في جوازه فرضًا كان الحج أو نفلاً؛ لأن الموهوب له يثبت له ملك أموال الهبة ملكًا صحيحًا بمجرد القبض، ويكون له حق التصرف فيها بسائر أنواع التصرفات، ويترتب عليه ما يترتب على الحاج بالمال الحلال من صحة الحج، وتحصيل الثواب المدخر عند الله لمن أدّى هذه الفريضة، أما أداء الفريضة بالمال المقترض على أن يقوم بسداد هذا الدين بعد عودته من حجه، كما جاء بالشطر الأخير من السؤال، فإن الحكم لا يختلف عما قررناه في الحج بالمال الموهوب من صحة الحج لأداء الفعل بشروطه وأركانه، وتحصيل الثواب المترتب عليه.

ولا حرج عليه في الاستعانة إذا كان قادرًا على الوفاء بدينه، أما إذا كان أكبر رأيه أنه لو استقرض ما يكفيه للحج لا يقدر على قضائه، فإن الأفضل له في هذه الحالة عدمه؛ لأنهم نصوا على ذلك في الزكاة، وإذا كان هذا في الزكاة التي تعلق بها حق الفقراء ففي الحج أولى. [الشيخ حسن مأمون، رحمه الله].

التعاون في جمعية من أجل الحج

س: تراضى أعضاء جمعية الدعاية للحج على أن يدفع كل منهم مبلغًا من المال لنية الحج، وفي نهاية كل عام يجرى اقتراع ليحج من بينهم عدد يتناسب والمبلغ المجموع، ويعتبر ما يستلمه العضو من مال الحج وديعة يسددها على أقساط شهرية، عند العودة، مع العلم بأن المبلغ الذي يُدفع شهريًا يعتبر كوديعة لدى الجمعية بحيث يكون للدافع أن يسترد ما دفعه في أي وقت شاء. وهذه الفكرة نشأت بعد صدور قانون الجمعية، فهو لا يتناولها وإن كان لا يتنافى معها؟

الجواب: اطلعنا على هذا السؤال، ونفيد أن الذى يظهر من السنة ومن عمل الصحابة في مسائل القرعة جواز هذا العمل شرعًا؛ لأن حاصله إيداع كل عضو من أعضاء الجمعية المبلغ المذكور شهريًا، مع إذنها بأن تقرضه لمن يحج به؛ فهو تعاون على البر على أن تكون القرعة وسيلة لاختيار من يحج تطييبًا لنفوس أعضاء الجمعية، وقد ورد العمل بالقرعة في مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وقاس عليه الإمام أحمد رحمه الله نظائر له، وما معنا مثل ذلك. [الشيخ عبد المجيد سليم، رحمه الله].



الحج عن الغير

س: ما قولكم في المسألة الآتية: شخص موسر يبلغ من العمر زهاء الستين، ويرغب في تأدية فريضة الحج. ولكن صحته لا تمكّنه من ذلك. ويريد أن ينيب عنه نجله متكفلاً له بكافة نفقات الحج والزيارة، فهل يصح هذا شرعًا على هذا الوجه أم لا يصح؟ ولمن يكون أجر الحج وثواب الزيارة؟

الجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

اطلعنا على هذا السؤال، ونفيد بأنه إذا وجب الحج على شخص، فحجَّ عنه غيرُه بأمره، وكان الآمر عاجزًا عن أداء فريضة الحج بنفسه، وكانت نفقة الحج من مال الآمر كلها أو أكثرها، ونوى المأمور الحج عن الآمر، واستوفى بقية الشروط التي ذكرها العلماء في حج الفرض عن الغير؛ فلا نزاع في أنه يسقط الفرض عن الآمر. [الشيخ عبد المجيد سليم، رحمه الله].

تأجيل الهَدْي غير جائز

س: السائل قد اعتزم أداء فريضة الحج والعمرة، ومنها الفدية. ويطلب الإفادة بالحكم الشرعي عما إذا كان يجوز له تأجيل الفدية لحين عودته إلى بلده ليقوم بتوزيعها على فقرائها وهم كثيرون.

الجواب: يظهر من السؤال أن السائل يريد أداء الفريضة قارنًا الحج والعمرة معًا، أو متمتعًا بالعمرة إلى الحج؛ فإذا كان كذلك فإنه يجب عليه أداء الهدي في أوقات الحج بمنى، ولا يجوز له تأجيلها لحين عودته إلى بلده، فإن كان عاجزًا عن شراء ما يفدي به؛ فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده؛ لقوله تعالى: «فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة» [البقرة ١٩٦]، إلخ الآية، ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال والله سبحانه وتعالى أعلم. [الشيخ جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله]

حج المرأة بدون محرم

س: أنا سيدة مسلمة ومتعلمة ومتزوجة، وأود الحج، ولكن زوجي يمنعني عن أداء هذه الفريضة بمفردي دونه، مع ملازمتي لإحدى قريباتي؛ نظرًا لعدم وجود فرصة له لترك أعماله؛ لأنه ليس له مُعين سوى الله، فهل إذا خالفته وصممت على أداء الفريضة قهرًا عنه بمفردي؛ هل هذا يُعد مخالفة لأصول الدين؟ وهل أعاقب على ذلك من الله؟

الجواب: اطلعنا على هذا السؤال، ونفيد أنه لا يجب الحج على السيدة المذكورة إلا إذا كان معها زوجها أو محرم لها بالغ عاقل، ولا يحل لها أن تحج بدون زوجها أو محرمها؛ لحديث البخاري ومسلم: «لا تسافر امرأة ثلاثًا إلا ومعها محرم» - زاد مسلم في رواية -: «أو زوج» -؛ ولقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرًا يكون ثلاثة أيام فصاعدًا إلا ومعها أبوها أو زوجها أو ابنها، أو أخوها أو ذو محرم معها». رواه الترمذي وغيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لامرأة تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها».

وغير ذلك من الأحاديث التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن هذا علم أن السيدة إذا سافرت من غير زوجها أو محرم لها؛ كانت آثمة مرتكبة ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السفر بدون زوج أو محرم، ومرتكبة أيضًا معصية أخرى هي مخالفتها لزوجها الذي فرض الله على الزوجة طاعته في غير معصية، والذى جعل حقه على المرأة أوجب من حق أبيها عليها، كما تدل على ذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويكفينا أن نذكر منها ما رواه الترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

وبهذا علم الجواب عن السؤال، والله سبحانه وتعالى أعلم. [الشيخ عبد المجيد سليم، رحمه الله].

[وليعلم أنه إذا وُجد محرم للمرأة في الحج فلا يجوز لزوجها أن يمنعها من حج الفريضة.]



وقفات مع عشر ذي الحجة

إعداد/ أيمن دياب

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فيا أيها القارئ الكريم، إن من نعم الله تعالى علينا أن مواسم الخير يتبع بعضها بعضًا، فبعد أن انقضى موسم رمضان جاء موسم الحج، وموسم العشر من ذي الحجة.

فينبغي أن نتعرف على نعم الله علينا بهذه المواسم التي هي للمؤمنين مغنَم لاكتساب الخيرات ورفع الدرجات، وهي لهم مناسبة لتحصيل الحسنات، والحطّ من السيئات؛ تتكرر علينا كل عام؛ ليتكرر بها علينا فضل الله، ونجدد النشاط على صالح الأعمال.

يقول العلماء: إن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره، ولذلك فإننا نحتاج إلى وقفات مع العشر من ذي الحجة؛ لنتصور فضل هذه الأيام حتى نعرف قيمتها، ونقدّرها حق قدرها.

الوقفة الأولى: فضل عشر ذي الحجة

ولهذه الأيام فضائل كثيرة من أهمها:

١- أن الله تعالى أقسم بها في كتابه الكريم: فقال: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر:١-٣]، والصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أن الليالي العشر هي عشر ذي الحجة، قال الإمام الطبري-رحمه الله-: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه». [جامع البيان (٧ / ٥١٤)].

وقال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: «والليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف». [تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٣٩)].

وقال الإمام الشوكاني-رحمه الله-: «هي عشر ذي الحجة في قول جمهور المفسرين» [فتح القدير (٥ / ٦١٣)].

وقد أقسم الله بهذه العشر، وهذا دليل واضح على عظمها وشرفها.

٢- أقسم الله تعالى بيوم عرفة على وجه الخصوص: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:١-٣]، قَالَ ﷺ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ» [السلسلة الصحيحة ح (١٥٠٢)].

٣- وهي الأيام المعلومات: التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٧- ٢٨]، وقد ورد هذا التفسير عن أَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهم، ورواه عنهما البخاري في صحيحه تعليقًا، وَقَدْ وَصَلَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ. [انظر: الفتح (٢ / ٥٨٢)]، وقال به جمع من الفقهاء.

وذلك الذكر يكون للحاج؛ لأنه يسوق الهدْي للذبح في هذه الأيام، ويشاركه في ذلك إخوانه المسلمون الذين لم يتيسر لهم الحج.

٤- وهي العشر المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، والثلاثون شهر ذي القعدة، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه، وروي عن مسروق، ومجاهد، وعطاء، رحمهم الله.
[انظر: تفسير ابن كثير، والطبري، وابن أبي حاتم للآية].

فالحمد لله الذي هدانا لهذه الأيام، وأضلهم عنها، فنحن أولى بموسى عليه السلام منهم.

٥- وهي أعظم أيام السنة: فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ وَلاَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ» [صحيح الترغيب ح (١٢٤٨)].

٦- وهي أفضل أيام الدنيا كلها: عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل أيام الدنيا العشر» -يعني عشر ذي الحجة-. [صحيح الترغيب ح (١١٥٠)].

٧- فيها أعظم الأيام، يوم النحر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ» [صحيح الجامع ح (١٠٦٤)]، ويوم القر هو اليوم الذي يلي يوم النحر؛ لأن الناس يقرون فيه بمنى بعد أن فرغوا من الطواف والنحر واستراحوا. قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-: «فالزمان المتضمن لمثل هذه الأعمال أهلٌ أن يُقسم الرب عز وجل به» [التبيان في أقسام القرآن (ص ١٨)].

٨- فيها يوم عرفة: وهو اليوم المشهود الذي أكمل الله فيه الدين وصيامه يكفر آثام سنتين، قال ﷺ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ» [السلسلة الصحيحة ح (١٥٠٢)]، وقال ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» [مسلم ١١٦٢].

٩- وهي أيام يتضاعف فيها ثواب العمل: فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ». قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ» [البخاري ٩٦٩].

وللترمذي: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ» [الترمذي ٧٥٧ وصححه الألباني].

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: «وهذا يدل على أن العمل المفضول في الوقت الفاضل يلتحق بالعمل الفاضل في غيره، ويزيد عليه؛ لمضاعفة ثوابه وأجره». [لطائف المعارف (ص٤٥٩)].

ومن أراد أن يستشعر فضل هذه الأيام ويتصور ذلك؛ فليتدبر هذا الحديث: عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ». قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟» قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟ [متفق عليه].

ومع ما للجهاد من هذه المكانة يبين النبي ﷺ أن الطاعة في العشر -التي هي دون الجهاد في غير العشر- أفضل منه، أما الجهاد فيها فلا شيء يعدله.

ومن فضل هذه الأيام أيضًا: ما أشار إليه الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: «وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ السَّبَبَ فِي امْتِيَازِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ لِمَكَانِ اجْتِمَاعِ أُمَّهَاتِ الْعِبَادَةِ فِيهِ، وَهِيَ الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَالْحَجُّ، وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ». [فتح الباري (٢ / ٤٦٠)].

فائدة: والمشهور أن ميزة هذه العشر في أيامها، وفضيلة عشر رمضان في لياليها، هذا الذي عليه الأكثر، قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: «أَيَّامُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ أَفْضَلُ مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَاللَّيَالِي الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ لَيَالِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ»، ثم قال الإمام ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله- تعقيبًا: «وَإِذَا تَأَمَّلَ الْفَاضِلُ اللَّبِيبُ هَذَا الْجَوَابَ. وَجَدَهُ شَافِيًا كَافِيًا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَفِيهَا: يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَيَوْمُ التَّرْوِيَةِ. وَأَمَّا لَيَالِي عَشْرِ رَمَضَانَ فَهِيَ لَيَالِي الْإِحْيَاءِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْيِيهَا كُلَّهَا، وَفِيهَا لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. فَمَنْ أَجَابَ بِغَيْرِ هَذَا التَّفْصِيلِ لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يُدْلِيَ بِحُجَّةٍ صَحِيحَةٍ». [مجموع الفتاوى (٢٥ / ٢٨٧)]. وهذا هو الراجح في التفضيل بينهما، والله أعلم.

الوقفة الثانية: بعض الأعمال الواردة في هذه الأيام

ندب الحديث إلى العمل الصالح مطلقًا في هذه الأيام. وقد كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا دَخَلَ أَيَّامُ الْعَشْرِ اجْتَهَدَ اجْتِهَادًا شَدِيدًا حَتَّى مَا يَكَادُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ. [صحيح الترغيب ح (١٢٤٨)].

ومن الأعمال التي ينبغي العناية بها

١- الحج: لمن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً قال النبي ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» [متفق عليه].

٢- العمرة: فقد شرع النبي ﷺ العمرة في أشهر الحج، مخالفًا بذلك المشركين القائلين: «إِذَا عَفَا الْوَبَرْ، وَبَرَأَ الدَّبَرْ، وَدَخَلَ صَفَرْ، فَقَدْ حَلَّتِ الْعُمْرَةُ لِمَنِ اعْتَمَرْ» [صحيح سنن أبي داود ح (١٩٨٧)]؛ مَا أَعْمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ إِلَّا لِيَقْطَعَ بِذَلِكَ أَمْرَ أَهْلِ

الشِّرْك، وندب أصحابه إلى التمتع الذي يأتي فيه الإنسان بعمرة في أشهر الحج، وقرن في حجه بينه وبين العمرة، واعتمر أربع مرات كلهنّ في أشهر الحج. [انظر صحيح مسلم ح (٢١٩٧)].

٣- الاعتناء بالفرائض: إذ لا أحب إلى الله منها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» [البخاري ٦٥٠٢].

٤- ومنها كثرة النوافل: للحديث السابق، من تلاوة القرآن، والتنفُّل بالصلاة، وإدامة الذكر، والصلة، والصدقة، وإعانة المحتاج، وهذا باب لا يُحصى أفراده، ولله الحمد.

٥- كثرة الذكر: لقول الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

قال الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: «وأما استحباب الإكثار من الذكر فيها - في أيام العشر - فقد دلَّ عليه قول الله عز وجل: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾، فإن الأيام المعلومات هي أيام العشر عند جمهور العلماء» [لطائف المعارف، ص ٢٨٩].

وقال الإمام النووي-رحمه الله-: «واعلم أنه يُستحبُّ الإكثار من الأذكار في هذا العشر زيادةً على غيره، ويُستحب من ذلك في يوم عرفة أكثر من باقي العشر» [الأذكار، ص (٣٨٩)].

٦- صيام التسع: فمن غُلب أخذ منها ما يُطيقه، فعن هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ قَالَتْ: «حَدَّثَتْنِي بَعْضُ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَتِسْعًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ الشَّهْرِ» [صحيح النسائي ح (٢٣٧٢)].

ولا يُشوِّشُ على هذا قول أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَائِمًا فِي الْعَشْرِ قَطُّ» [مسلم ١١٧٦]. قال الإمام ابنُ القيّم -رحمه الله- بعد ما أورد هذه المسألة: «والمثبت مقدَّمٌ على النافي إن صحّ» [زاد المعاد (٢ / ٦٦)].

ويقول الإمام النووي-رحمه الله- مزيلاً هذا الإشكال: «قول عائشة: «لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ»، يُتَأَوَّلُ قَوْلُهَا: أَنَّهُ لَمْ يَصُمْهُ لِعَارِضِ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ أَنَّهَا لَمْ تَرَهُ صَائِمًا فِيهِ» [شرح مسلم (٨ / ٧١- ٧٢)]، قلت: وربما صامها النبي ﷺ ثم ترك صيامها؛ خشية أن تُفرض كما ترك الاجتماع في صلاة الليل في رمضان لذات العلة، فأخبرت كل واحدة بما رأته من حاله ﷺ.

وإذا غُلب الإنسان فلا أقل من صوم يوم عرفة لغير الحاج؛ لقول نبينا ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» [مسلم ١١٦٢].

٧- قيام ليلها: فقد استحبه الشافعي وغيره، وقال سعيد بن جبير: «لا تطفئوا سُرُجكم ليالي العشر» [انظر اللطائف، ص (٢٨٩)]، كناية عن القراءة والقيام.

٨- دعاء يوم عرفة: قال ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [صحيح: مشكاة المصابيح ح(٢٥٩٨)].

قال الحافظ ابن عبد البر-رحمه الله-: «وفيه من الفقه أن دعاء يوم عرفة أفضل من غيره، وفي ذلك دليل على فضل يوم عرفة على غيره،... وفي الحديث أيضًا دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب». [التمهيد (٦ / ٤١)]

الوقفة الثالثة: أحكام ومسائل

١- التكبير: لقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلاَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنْ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ» [صححه الشيخ أحمد شاكر في تخريج المسند (٧ / ٢٢٤)].

قال الإمام البخاري-رحمه الله-: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنهم يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ، وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا» [الإرواء ح (٦٥١)].

وعن يزيد بن أبي زياد -رحمه الله- قال: «رأيت سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهدًا - أو اثنين من هؤلاء الثلاثة- ومن رأينا من فقهاء الناس يقولون في أيام العشر: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد». [انظر: أحكام العيدين (ص ١١٩)].

وعن ميمون بن مهران-رحمه الله- قال: «أدركت الناس وإنهم ليكبرون في العشر حتى كنت أشبِّهه بالأمواج من كثرتها، ويقول: إن الناس قد نقصوا في تركهم التكبير». [انظر: فتح الباري لابن رجب (٦/ ١١٢)].

وينبغي الجهرُ به؛ إحياءً للسنة، وتذكيرًا للغافل.

والتكبير فيها قسمان:

مطلق: ويكون في العشر كلها وأيام التشريق.

مقيد: بدبر الصلاة المكتوبة والنافلة، من صُبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيّام التشريق [انظر: (مجموع الفتاوى ٢٤ / ٢٠)، (الفتح ٢ / ٥٣٦)]، وأمّا للحاجّ فيبدأ التكبير المقيّد عقب صلاة الظهر من يوم النحر.

٢- صفة التكبير: ثبت عن الصحابة أكثر من صيغة منها أثر ابن مسعود رضي الله عنه: «أنه كان يكبر أيام التشريق: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ» [صحيح. انظر: الإرواء ح (٦٥١)].

٣- صلاة العيد: وهي واجبة في الراجح من قولي العلماء، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة، وأحد أقوال الإمام الشافعي ورواية عن الإمام أحمد، وبه قال بعض المالكية واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، واختيار تلميذه ابن القيم-رحمهم الله-. [انظر: الشرح الممتع (٥ / ١٥٢)].

٤- صفة صلاة العيد: صلاة العيد ركعتان، لحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «صَلاَةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ، وَصَلاَةُ الأَضْحَى رَكْعَتَانِ، وَصَلاَةُ الْفِطْرِ رَكْعَتَانِ، وَصَلاَةُ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَانِ، تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ» [صحيح ابْنِ مَاجَهْ ح (١٠٦٣)]، يُكبِّر في الركعة الأولى سبع تكبيرات بعد تكبيرة الإحرام، وفي الركعة الثانية خمس تكبيرات بعد تكبيرة الانتقال. [صحيح ابْنِ مَاجَهْ ح (١٢٧٨)].

ويستحب بين كل تكبيرتين أن يقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ويصلي على النبي ﷺ»؛ لما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بين كل تكبيرتين حمد لله عز وجل، وثناء على الله»، [وحسّنه العلامة الألباني في "القول البديع"].

٥- الأضحية: والأضحية من خير القُربات في يوم العيد، واختلف العلماء في حكمها، والصحيح أنها سنة مؤكدة «يُكْرَه تَرْكُهَا مَعَ الْقُدْرَة»، والله أعلم. [فتح الباري (١٠ / ٦)]، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا» [متفق عليه]. (والصفحة هي جانب العنق).

والسنة أن يشهد المضحي أضحيته، وأن يباشرها بنفسه، وأن يأكل منها شيئًا كما فعل النبي ﷺ. وإن وكّل غيره جاز، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ نحر بيده ثلاثًا وستين من هديه في الحج، ووكّل عليًّا رضي الله عنه في البقية؛ ولأن الأصل هو الجواز ولا دليل على منعه.

٦- وإذا دخلت العشر؛ ينبغي لمن أراد أن يضحي عدم أخذ شيء من شعره أو أظفاره أو بشرته حتى يذبح أضحيته: لحديث أم سلمة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ؛ فَلاَ يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا» [مسلم ١٩٧٧]. وفي رواية له: «إِذَا رَأَيْتُمْ هِلاَلَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ؛ فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ»، وهذا النهي مختص بصاحب الأضحية، أما المضحى عنهم من الزوجة والأولاد؛ فلا يعمهم النهي؛ لأن النبي ﷺ ذكر المضحي، ولم يذكر المضحى عنهم.

ومن أخذ شيئًا من شعره أو أظفاره في العشر متعمدًا من غير عذر وهو يريد أن يضحي؛ فإن ذلك لا يمنعه من الأضحية، ولا كفارة عليه، ولكن عليه التوبة إلى الله. [انظر: أحكام الأضحية لابن عثيمين، رحمه الله].

أخي القارئ الكريم؛ فلنحرص على الخير في هذه الأيام حتى نستحق دعوة رسول الله ﷺ لنا، فإن نبينا عليه السلام دعا لنا قبل أن يرانا، كما بحديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما رأيت من النبي ﷺ طيب نفس، قلت: يا رسول الله، ادع الله لي، فقال: «اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، ما أسرت وما أعلنت»، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، قال لها رسول الله ﷺ: «أيسرك دعائي؟»، فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك؛ فقال ﷺ: «والله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة» [الصحيحة ح (٢٢٥٤)].

فاحرص على أسباب المغفرة حتى تسعد بجواره في جنات النعيم.

وآخر دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بكفر الشيخ خليفة بمنيا القمح، بناحية الشيخ خليفة، بتاريخ ١٢ / ١٠ / ٢٠١٠م، طبقًا لأحكام القانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م.

من أخبار الجماعة

الرئيس العام في اجتماع لمناقشة الدعوة في الجماعة

نلتزم بمبدأ القرآن والسنة بفهم سلف الأمة عقيدة وعملاً وسلوكًا

في الاجتماع الذي عُقد خلال الأيام الماضية بالمركز العام لأنصار السنة، وحضره ما يزيد على مائة وخمسين فرعًا من فروع الجماعة؛ حيث مثل كل فرع رئيس الفرع ورئيس لجنة الدعوة، وذلك لمناقشة الأعمال الدعوية خلال الصيف الماضي، وما تم تنفيذه من الخطط الدعوية التي تم وضعها في الاجتماع السابق الذي عُقد في بداية الموسم الصيفي، وضرورة المتابعة الجادة من قبل المركز العام لما تم تنفيذه، ومتابعة الفروع أولاً بأول فيما تم تنفيذه من برامج دعوية، سواء كانت أسابيع ثقافية أو دروسًا منهجيةً أو دورات مكثفةً للدعاة، وقد عُقد الاجتماع برئاسة الدكتور عبد الله شاكر، الرئيس العام للجماعة، والدكتور عبد العظيم بدوي نائب الرئيس العام والمشرف العام على مجلة التوحيد.

وفي كلمته التي ألقاها الرئيس العام في الاجتماع أكد على أن الجماعة لا توالي ولا تعادي على راية معينة ولا اسم معين، وإنما ولاؤنا لله سبحانه وتعالى، وبراؤنا في سبيل رب العالمين جل في علاه، وبالتالي فإن الجماعة وهي تسير على درب أهل السنة والجماعة في الالتزام بمنهج القرآن والسنة عقيدة وعملاً وسلوكًا بفهم سلف الأمة الصالحين.

وقد حذّر فضيلة الرئيس العام ممن يحاولون النيل من منهج أهل السنة والجماعة، وأصحاب الأهواء والدعوات المغرضة، والتكتلات الحزبية المناهضة التي تحاول الانقضاض على منهج الجماعة، مما يدفعنا إلى ضرورة التعريف بمنهجنا، والحرص الدائم على هذا المنهج القائم على كتاب الله، وما صح من حديث رسول الله ﷺ بفهم سلف أمتنا الصالحين من الصحابة والتابعين، وأئمة أهل العلم كالإمام البخاري والإمام أحمد والدارمي وابن خزيمة وابن تيمية، وجميع أئمتنا ومن ساروا على هذا الدرب، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

وقد نوّه الرئيس العام في كلمته إلى ضرورة استغلال الفرص المتاحة والاستفادة من وسائل التطوير وجمع المعلومات، وذلك من خلال استمارة للبيانات والمعلومات عن الفروع، باعتبار تلك الاستمارة باكورة إنتاج نشاط مركز معلومات مجلة التوحيد الذي سيصبح - إن شاء الله - في القريب العاجل مركز إشعاع للجماعة لخدمة الأمور الدعوية، وربط الفروع بالمركز العام.

كما بشر الرئيس العام أيضًا بقرب الانتهاء من إنشاء موقع أنصار السنة الجديد على شبكة المعلومات، ودعا فضيلته الفروع للاستفادة من الخدمة التكنولوجية الحديثة في خدمة الدعوة والدعاة لمواكبة العصر.

كما أكد فضيلته على ضرورة تقدير الجماعة لجهود علمائها، منبهًا على أهمية معرفة قدر هؤلاء العلماء الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل إقرار الحق، ونشر منهج السلف الصالح.

وفي هذا الإطار أعلن فضيلته عن إقامة مؤتمر حاشد حول علم من أعلام الجماعة والإسلام ومؤسس من مؤسسيها فضيلة العلامة الشيخ أحمد شاكر، رحمه الله، وقد سبق عقد المؤتمر الأول عن مؤسس الجماعة الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله، مؤكدًا على استمرار تلك المؤتمرات؛ كي يتسنى لنا التعرف على جهود علمائنا للتأسي بهم والسير على نهجهم.

وفي هذا الجانب أعطى الرئيس العام إشارة البدء للباحثين والمهتمين من أبناء الجماعة لتقديم أبحاثهم حول العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - قبل موعد المؤتمر بفترة كافية.

وقد أكد فضيلة الدكتور عبد العظيم بدوي نائب الرئيس العام والمشرف على مجلة التوحيد على ضرورة أهمية إبراز الجماعة، ودورها في تثبيت عقيدة الولاء والبراء لدى المسلمين، خاصة في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن وانتشرت في ربوع البلاد.

والحمد لله رب العالمين.